# الله وصفاته

# في

# اليهودية والنصرانية والإسلام

تأليف الدكتور الشيخ

## أحمد حجازى السقا

الحائز على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين جامعة الأزهر
فى موضوع « البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل »

الناشر

دار النهضة العربية

٣٢ شارع عبد الخالق ثروت بمصر




تأليف الدكتور الشيخ

## أحمد حجازي السقا

الحائز على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين جامعة الأزهر
في موضوع « البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل »



الناشر
دار النهضة العربية

٣٢ شارع عبد الخالق ثروت بمصر

**ملاحظة :**

راجع نصوص التوراة والإنجيل التى سنذكرها فى هذا الكتاب فى الكتاب المقدس ترجمة البروتستانت سنة ١٩٧٠ م فى مصر .

اطلب « الكتاب المقدس » من الكنائس أو المكتبات الكبرى ، اطلب العهد القديم والجديد .

الطبعة الأولى بمصر
١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

دار الاتحاد العربى للطباعة
لصاحبها : محمد عبد الرازق
١٩ كنيسة الأرمن شارع الجيش
تليفون : ٩٣٤٠٩٨



# تقديم الكتاب

## للأستاذ الدكتور الشيخ عبد الغنى الراجحى

ولدنا مؤلف هذا البحث الموجز المفيد : معروف للقراء المسلمين ، وغير المسلمين . إنهم يقرأون كتبه وأبحاثه فيتذكرون ما قد نسوه من العلم ، ويعرفون ما ليس لهم به من قبل علم . وينشغل كثير منهم بما وضح من حقائق ، وأخيراً يقررون ما قرره هو طوعاً أو كرهاً .

وهذا البحث الموجز المفيد فى موضوع « الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والإسلام » من أعظم المواضيع التى تناولها المؤلف بالبحث . وإنى لأتمنى أن يكون هذا البحث شغل كثيرين من أهل العلم ، لأن المؤلف عرض للموضوع بإيجاز ، والموضوع أكبر من هذا الإيجاز وأعظم وأجل .

ولو سكتنا عن الإيجاز ، وتحدثنا فى موضوع الكتاب ، فإننا نقول :

إنه صرح بأن الله تعالى إله واحد ، لا شريك له ، ولا يرى ، ولا يكيف بكيفية ، وليس جسما ، وليس كمثله شىء ، ولا يحده مكان ، ولا زمان ، يوصف بكل كمال ، ويتنزه عن كل نقص ، وخالق كل شىء ، وهو بكل شىء عليم . وأقام الأدلة على وحدانية الله وصفاته من التوراة وأسفار الأنبياء ، والأناجيل الأربعة ، والرسائل ، وإنجيل برنابا ، والقرآن الكريم .

وكأنى به يريد أن يبين للناس : ما تهدف إليه هذه الآيات الكريمات من القرآن الكريم « قل أتحاجوننا فى الله . وهو ربنا وربكم ، ولنا أعمالنا ، ولكم أعمالكم ، ونحن له مخلصون . أم تقولون : إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى ؟ قل أأنتم أعلم أم الله ؟ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ؟ وما الله بغافل عما تعملون . تلك أمة قد خلت . لها ما كسبت ، ولكم ما كسبتم ، ولا تسئلون عما كانوا يعملون » .

وتحدث المؤلف عن المحكم والمتشابه فى ذات الله وصفاته ، فبين أن المتشابه هو الكلام الذى يحتمل أكثر من معنى ، وأن المحكم هو الكلام الذى يحتمل معنى واحداً . وإذا ورد فى الكتب عن الله وصفاته كلام متشابه ، وكلام محكم . يرد المتشابه إلى المحكم . لأن المحكم هو الأصل الذى يرجع إليه عند الاختلاف، فمثلا إذا قال الله « ليس كمثله شىء » وقال « ومكرنا مكراً » فإن « ليس كمثله شىء » محكم لدلالته على معنى واحد هو أن الله تعالى لا يشبه شيئاً من الأشياء . وأن « ومكرنا مكراً » متشابه لدلالته على أن الله شبيه بالناس فى المكر . ولما كان الله « ليس كمثله شىء » فإن « مكرنا مكراً » أسلوب متشابه . الغرض منه : إهلاك الله الكافرين من حيث لا يشعرون . شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة(١) .

ولقد يظن كثير من الناس أن بنى إسرائيل يجسمون الله ، وينسبون إليه فى التوراة ما لا يليق بذاته المقدسة . ولكن النصوص التى استشهد بها المؤلف من التوراة على تعظيم بنى إسرائيل لله: تزيل هذا الظن . وتحتم على الناس أن يتريثوا فى الحكم على أى طائفة ، ولا يصدرون حكما على طائفة إلا بعد تفحص كتبها ، والتعمق فى فهم أسرار لغتها .

صحيح . أنا أعلم أن بعض بنى إسرائيل عبدوا العجل ، وعبدوا الأصنام كما هو مبين فى الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج وفى الإصحاح الثانى عشر من سفر الملوك الاول . وعبادتهم العجل والأصنام ، ليس لأن التوراة قد نصت على عبادة العجل وعبادة الأصنام ، بل لأنهم اتخذوا كتاب الله وراءهم ظهرياً . إنهم عبدوا العجل وعبدوا الأصنام بالرغم مما هو مكتوب فى الوصايا العشر :

« أنا هو الرب إلهك ، الذى أخرجك من أرض مصر ، من بيت العبودية . لا يكن لك آلهة أخرى أمامى ، لا تصنع لك تمثالا منحوتاً . صورة ما ، مما فى

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل فى سورة النمل الآية رقم ٥٠ .

السماء من فوق ، وما فى الأرض من أسفل ، وما فى الماء من تحت الأرض . لاتسجد لهن ، ولاتعبدهن ، لأنى أنا الرب إلهك إله غيور... إلخ » .

إن بنى إسرائيل كما تحدث التاريخ من دعاة التوحيد . منذ زمن بعيد ، وهم مثلنا نحن المسلمين فى عقيدة التوحيد ، ففى التوراة فى الإصحاح السادس من سفر التثنية « اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد » وفى الإنجيل يقول المسيح عليه السلام ، وهو آخر نبى من بنى إسرائيل مخاطباً الله عز وجل « وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك » كما جاء فى الإصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا .

ويقول علماء بنى إسرائيل إن الوصية العظمى فى الناموس ، أى فى الأسفار الخمسة لموسى عليه السلام أسفار التوراة هى : « شهادة أن لا إله إلا الله » وجاء فى الأناجيل أن عالماً من علماء بنى إسرائيل من طائفة الفريسيين يحمل لقب « ناموسى » أى « دكتوراه » فى الشريعة سأل المسيح عليه السلام عن الوصية العظمى . ورد عليه المسيح عليه السلام بأن الوصية العظمى هى « شهادة أن لا إله إلا الله » ففى الإصحاح الثانى والعشرين من إنجيل متى « أما الفريسيون ، فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين اجتمعوا معاً ، وسأله واحد منهم ، وهو ناموسى ليجربه قائلا : يا معلم . أية وصية هى العظمى فى الناموس ؟ فقال له يسوع : تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك . هذه هى الوصية الأولى » وفى الإصحاح العاشر من لوقا « وإذا ناموسى قام ليجربه قائلا : يامعلم : ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له : ما هو مكتوب فى الناموس ؟ كيف تقرأ ؟ فأجاب ، وقال : تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك » وفى الإصحاح الثانى عشر من إنجيل مرقس : « فجاء واحد من الكتبة ، وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنه أجابهم حسنا . سأله : أية وصية هى أول الكل ؟ فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا هى : اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك . هذه هى الوصية الأولى . وثانية

مثلها : هي تحب قريبك كنفسك . ليس وصية أخرى أعظم من هاتين » . فقال له الكاتب : جيداً يا معلم . بالحق قلت . لأنه الله واحد وليس آخر سواه » .

وفي القرآن الكريم « هو الله أحد » ، وفي القرآن الكريم « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا : آمنا بالذي أنزل إلينا ، وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد » .

والخلاف الذي بيننا وبين بني إسرائيل هو في الشريعة وعالمية الدعوة فبينما هم يتمسكون بالتوراة شريعة لهم ، وللسا كنين بينهم ، ولا يودون تركها ، نتمسك نحن بالقرآن شريعة لنا وللأمم ، ونقول : إنه قد نسخ الأحكام العملية في التوراة .

وأما النصارى فإنهم بعيدون منا في العقيدة ، وبعيدون منا في الشريعة ، وهم بعيدون فيهما أيضاً عن بني إسرائيل . فعند الأرثوذكس : أن الله تعالى انقلب إلى إنسان هو المسيح . وعند الكاثوليك والبروتستانت : أن الله إله من آلهة ثلاث . وليس على ما يقولون دليل من النقل أو العقل . هذا في العقيدة . وأما في الشريعة فإنهم لم يعملوا بالتوراة كما أوصاهم المسيح عليه السلام .

« قال يسوع : أتظنون أني جئت لأبطل الشريعة والأنبياء ؟ الحق أقول لكم : لعمر الله إني لم آت لأبطلها ، ولكن لأحفظها ، لأن كل نبي حفظ شريعة الله ، وكل ما تكلم الله به على لسان الأنبياء الآخرين . لعمر الله الذي تقف نفسي في حضرته لا يمكن أن يكون مرضياً لله : من يخالف أقل وصاياه ، ولكنه يكون الأصغر في ملكوت الله . بل لا يكون له نصيب هنالك . وأقول لكم أيضاً : إنه لا يمكن مخالفة حرف واحد من شريعة الله : إلا باجتراح أكبر الآثام » كما جاء في الإصحاح الثامن والثلاثين من إنجيل برنابا وكما جاء في الإصحاح الخامس من إنجيل متى .

إنهم لم يعملوا بالتوراة كما أوصاهم المسيح ، ولو عملوا بها لآمنوا بمحمد عليه السلام فإنه مكتوب فيها ، بل ألغوا أحكامها . وسنوا لهم من تلقاء أنفسهم نظما وشرائع لم يأذن بها الله ، ولم يقبلوا الإسلام الذي عرفهم به المسيح عليه

السلام من قبل رفعه . فهم كما أخبر القرآن : ضالون . وبنو إسرائيل كما أخبر القرآن : مغضوب عليهم .

« وماذا عليهم لو آمنوا بالله . واليوم الآخر ، وأنفقوا مما رزقهم الله . وكان الله بهم عليما ؟ إن الله لا يظلم مثقال ذرة . وإن تك حسنة يضاعفها ، ويؤت من لدنه أجراً عظيما . فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد . وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ؟ يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ، ولا يكتمون الله حديثاً » .

وأخيراً نقول : هذا البحث مفيد فى موضوعه ، وقد سد فراغا هائلا فى المكتبة الإسلامية على جهة العموم ، وفى مكتبة علم مقارنة الأديان على جهة الخصوص .

والله أسأل أن ينفع به إنه سميع مجيب .

الدكتور عبد الغنى الراجحى

عميد كلية أصول الدين

# مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء ، وعلى الأنبياء السابقين ، ومن تبعهم بخير إلى يوم الدين .

وبعـــد :

فهذا بحث موجز فى موضوع : «الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والإسلام» أثبت فيه : أن الله تعالى إله واحد ، لا شريك له ولا يرى ولا يكيف بكيفية ، وليس جسما ، وليس كمثله شىء ، ولا يحده مكان ولا زمان ، يوصف بكل كمال ويتنزه عن كل نقص ، وخالق كل شىء ، وهو بكل شىء عليم . بأدلة من التوراة والأناجيل والقرآن الكريم .

وما ورد فى الآيات من أن لله تعالى يداً ، أو أذناً أو عيناً أو ما شابه ذلك من الأعضاء التى تشبه أعضاء الإنسان ، وما ورد فى الآيات من أن الله تعالى يفرح أو يغضب أو يحزن أو ينسى أو يستحى ، أو ما شابه ذلك من الصفات التى تشبه صفات الإنسان. ما ورد فى الآيات يحمل على المعنى المجازى لا الحقيقى. فيد الله كناية عن قدرته ، وأذنه كناية عن سمعه ، وعينه كناية عن علمه وهكذا . وفرح الله وغضبه وحزنه ونسيانه واستحياؤه ... إلخ ليس ذلك على حقيقته ، بل الله يعبر عن نفسه بالصفات التى هى فى الإنسان ليستطيع عقل الإنسان أن يدرك طبيعة الله كما يقول الإمام الرازى : «إن القرآن يشتمل على دعوة الخواص والعوام ، وطبائع العلوم تنبو فى أكثر الأمور عن إدراك الحقائق ، فمن سمع من العوام فى أول الأمر إثبات موجود ، ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار إليه ظن أن هذا عدم ونفى محض فيقع فى التعطيل ، فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما تخيلوه ، وما توهموه ، ويكون ذلك مخلوطاً بما يدل على الحق الصريح . فالقسم الأول ـ وهو الذى يخاطبون به فى أول الأمر ـ من باب المتشابه ، والقسم الثانى ـ وهو الذى يكشف عن الحق الصريح ـ هو المحكم» ا. هـ .

وهذا البحث يشتمل على سبعة فصول :

الفصل الأول : الله وصفاته فى التوراة . والثانى : الله وصفاته فى الاناجيل . والثالث : الله وصفاته فى المجامع النصرانية . والرابع : أقانيم الصفات الثلاثة : الوجود ، والعلم ، والحياة . والخامس : الله وصفاته فى القرآن . والسادس : فلسفة الصفات . والسابع : مشا كل الصفات .

ومصادرنا فى هذا البحث : كتب التوراة المتداولة من بعد سنة ٥٨٦ ق . م وكتب الأناجيل الأربعة المقدسة المتداولة من بعد سنة ٣٢٥ م وكتاب القرآن الكريم .

ومراجعنا : كتب الربانيين من اليهود والأحبار ، وكتب القسيسيين من النصارى والرهبان ، وكتب علماء المسلمين .

والله ولى التوفيق .

وخالص شكرى وتقديرى للعلامة الجليل الأستاذ الشيخ محمود مصطفى بدوى على تفضله علينا بالمراجعة والتوجيهات النافعة ، جزاه الله تعالى خير الجزاء .

د . أحمد حجازى أحمد السقا

تلميذ الأستاذ الدكتور الشيخ
محمد بن محمد أبو شهبه
عميد كلية أصول الدين سابقاً



الفصل الأول

# الله وصفاته في التوراة

تمهيد :

## تعريف بالتوراة

كتاب التوراة : كتاب نزل من عند الله تعالى على النبي موسى عليه السلام فى طور سيناء ، عقيدة وشريعة. وكان ذلك نحو سنة ١٥٧١ ق. م[1].

وفى سنة ٥٨٦ ق . م ، وفى مدينة بابل بالعراق رأى الربانيون والأحبار أن يحرفوا توراة موسى وأن يغيروا معانيها ، وأن يبدلوا ألفاظها ، وأن يظهروا بعضاً ويخفوا على الناس بعضاً[2]. وقد حرفوا فعلا وغيروا وبدلوا .

والتوراة المتداولة اليوم : هى توراة بابل وهى عبارة عن خمسة أسفار : التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية .

## التوراة العبرانية والسامرية

ولما رجع بنو إسرائيل من بابل إلى أرض فلسطين بالتوراة الجديدة . افترقوا إلى فرقتين فرقة العبرانيين وهم سبطى يهوذا وبنيامين وبعض بنى لاوى وفرقة السامريين وهم بقية الأسباط وبعض بنى لاوى . وقد وجدنا فى التوراة العبرانية اختلافات عن التوراة السامرية فى « الأسفار الخمسة » وتدعى كل فرقة

---

(١) تعتمد التواريخ من كتاب « يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته » ص ١٧ .

(٢) راجع فى التحريف اللفظى والمعنوى فى التوراة كتاب « إظهار الحق » تأليف رحمة الله بن خليل وكتاب « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » لابن حزم .

أن الأخرى هى التى حرقت توراتها(١) .

## التوراة اليونانية

التوراة العبرانية مكونة من الأسفار الخمسة :

١ — التكوين .

٢ — الخروج .

٣ — اللاويين ( الأحبار ) .

٤ — العدد .

٥ — التثنية .

مثل السامرية مع اختلاف فى بعض الآيات . وهذه التوراة العبرانية قد ترجمت إلى اللغة اليونانية فى عصر اليونان ، وسميت بالتوراة اليونانية . وتسمى « السبعينية » أيضاً لأن الذين قاموا بالترجمة إثنان وسبعون حبراً من أحبار اليهود ، ومع أنها مترجمة عن العبرانية تختلف عنها فى بعض الآيات . أى أنه توجد اختلافات فى الأسفار الخمسة بين السامرية والعبرانية واليونانية .

## أسفار الأنبياء

وفى العصر المكابى ١٦٧ ق . م جمع الأحبار مأثورات عن أنبياء أتوا إلى الناس من بعد موسى ، وسموها أسفار الأنبياء ، وأطلقوا عليها اسم التوراة مجازاً . ولم تكن مجموعة مقننة من هذه الأسفار قبل هذا العصر(٢) .

---

(١) انظر رسالة فى اللاهوت والسياسة تأليف سبينوزا الفيلسوف . وانظر التاريخ مما تقدم عن الآباء . ترتيب أبى الفتح السامرى .

(٢) رسالة فى اللاهوت والسياسة .

والسامريون لايقبلون هذه الأسفار ، ولا يقدسون غير الأسفار الخمسة[١] وكذلك لا يقبلها الصدوقيون من اليهود العبرانيين[٢] وقد ترجمت هذه الأسفار إلى اللغة اليونانية ثم اختلف اليهود العبرانيون فى تقديسها فالعبرانيون فى الشرق ونصارى البروتستانت يقبلون الآتى :

١ — الأسفار الخمسة لموسى عليه السلام ثم :

| | |
|---|---|
| ٦ — يشوع | ٧ — القضاة |
| ٨ — راعوث | ٩ — صموئيل الاول |
| ١٠ — صموئيل الثانى | ١١ — الملوك الاول |
| ١٢ — الملوك الثانى | ١٣ — أخبار الأيام الاول |
| ١٤ — أخبار الأيام الثانى | ١٥ — عزرا |
| ١٦ — نحميا | ١٧ — أستير |
| ١٨ — أيوب | ١٩ — المزامير ( الزبور ) |
| ٢٠ — الأمثال | ٢١ — الجامعة |
| ٢٢ — نشيد الإنشاد | ٢٣ — أشعياء |
| ٢٤ — إرمياء | ٢٥ — مراثى إرمياء |
| ٢٦ — حزقيال ( ذو الكفل ) | ٢٧ — دانيال |
| ٢٨ — هوشع | ٢٩ — يوئيل |
| ٣٠ — عاموس | ٣١ — عوبيديا |
| ٣٢ — يونان ( يونس ) | ٣٣ — ميخا |
| ٣٤ — ناحوم | ٣٥ — حبقوق |
| ٣٦ — صفنيا | ٣٧ — حجى |
| ٣٨ — زكريا | ٣٩ — ملاخى |

---

(١) التاريخ مما تقدم عن الآباء .

(٢) التلمود ، أصله وتسلسله وآدابه .

واليهود فى الغرب ونصارى الأرثوذكس والكاثوليك يقدسون التوراة اليونانية وهى مكونة من الأسفار الخمسة المترجمة عن العبرانية وأسفار الأنبياء السابق ذكرها ثم يضيفون الآتى ويقدسونه .

١ — جزء من سفر أستير
٢ — باروخ
٣ — جزء من سفر دانيال
٤ — طوبيا
٥ — يهوديت
٦ — الحكمة
٧ — ابن سيراخ
٨ — المكابيين الأول
٩ — المكابيين الثانى

* * *

بعد هذا التمهيد عن التوراة التى سنستدل منها على ذات الله وصفاته، نبين أن عمدتنا فى الاستدلال هو كتاب موسى « الأسفار الخمسة » لأنه الكتاب المقدس عند الطوائف اليهودية كلها وعند النصارى أيضاً . ثم سنستدل من أسفار الأنبياء للإيضاح وزيادة البيان فنقول :

## ١ — الله واحد فى التوراة

بينت التوراة :

١ — أن الله واحد لا شريك له .

٢ — وأنه لا يرى ولا يقدر أحد أن يراه .

٣ — وليس كمثله شيء .

٤ — ولا يحده مكان ولا زمان .

وهذه أدلة على ما ذكرنا .

الله واحـــد :

فى الإصحاح السادس من سفر التثنية ما نصه : « اسمع يا إسرائيل الرب

إلهنا رب واحد فتحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل قوتك ، ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك ، وقصها على أولادك . وتكلم بها حين تجلس في بيتك ، وحين تمشي في الطريق ، وحين تنام ، وحين تقوم ، واربطها علامة على يدك ، ولتكن عصائب بين عينيك ، واكتبها على قوائم أبواب بيتك ، وعلى أبوابك » ( تثنية ٦ : ٤ - ٩ ) .

يوضح هذا النص وغيره كثير : أن الله واحد لا شريك له . ومن هذه النصوص الكثيرة ما يلي :

« الرب هو الإله ليس آخر سواه » ( تث ٤ : ٣٥ ) .

وقال داود عليه السلام « يا رب ... لا إله غيرك ، حسب كل ما سمعناه بآذاننا » ( الأخبار الأول ١٧ : ٢٠ ) .

وقال إشعياء « أنت هو الإله وحدك ، لكل ممالك الأرض » ( إش ٣٧ : ١٦ )

وقال نحميا : « أنت هو الرب وحدك » ( نح ٩ : ٢ )

وفي سفر الزبور : « من هو إله غير الرب ؟ » ( مز ١٨ : ٣١ ) .

وفي سفر الملوك الأول « ليعلم كل شعوب الأرض : أن الرب هو الله ، وليس آخر » ( ١ مل ٨ : ٦٠ ) .

وفي سفر الملوك الثاني : « أنت هو الإله وحدك ، لكل ممالك الأرض » ( ٢ مل ١٩ : ١٦ ) وجاء فيه أيضاً : « أيها الرب إلهنا خلصنا من يده ، فتعلم ممالك الأرض كلها : أنك أنت الرب الإله وحدك » ( ٢ مل ١٩ : ١٩ ) وقد أعلن الله نفسه هذه الحقيقة فقال : « أنا الأول ، وأنا الآخر ، ولا إله غيري » ( إش ٤٤ : ٦ ) وقال : « أنا الرب ، وليس آخر لا إله سواي » ( إش ٤٥ : ٥ ) وقال « أنا هو هو وليس إله معي » ( تث ٣٢ : ٣٩ ) .

وقد غضب الله على بني إسرائيل لأنهم أشركوا به آلهة أخرى . فقال لهم : « بمن تشبهونني وتسوونني ، وتمثلونني لنتشابه .. اذكروا هذا ، وكونوا رجالاً ... رددوه في قلوبكم أيها العصاة ... اذكروا الأوليات منذ القديم ، لأني أنا الله ، وليس آخر ، الإله ، وليس مثلي » ( إش ٤٦ : ٥ و ٨ و ٩ ) .

وجاء فى سفر الزبور عن الأصنام : « أصنامهم فضة وذهب . عمل أيدى الناس . لها أفواه ولا تتكلم . لها أعين ولا تبصر ، لها آذان ولا تسمع . لها أيد ولا تلمس . لها أرجل ولا تمشى . ولا تنطق بحناجرها . مثلها يكون صانعوها ، بل كل من يتكل عليها » ( مز ١١٥ : ٤ - ٨ ) .

الله لا يرى ، ولا يقدر أحد أن يراه :

جاء فى التوراة أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام اجمع بنى إسرائيل إلى جبل الطور « حوريب » لكى يسمعوا صوتى وأنا أكلمك . فجمعهم موسى أسفل الجبل ، فسمعوا الصوت ، ولم يروا الله . ولماذا جمعهم ؟ ليعرفوا الله فلا يعبدوا إلهاً غيره .

يقول موسى فى سفر التثنية : « قال لى الرب : اجمع لى الشعب فأسمعهم كلامى لكى يتعلموا أن يخافونى كل الأيام التى هم فيها أحياء على الأرض ، وليعلموا أولادهم ، فتقدمتم ووقفتم فى أسفل الجبل ، والجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وسحاب وضباب . فكلمكم الرب من وسط النار ، وأنتم سامعون صوت كلام ، ولكن لم تروا صورة بل صوتاً . وأخبركم بعهده الذى أمركم أن تعملوا به : الكلمات العشر ، وكتبه على لوحى حجر وإياى أمر الرب فى ذلك الوقت أن أعلمكم فرائض وأحكاماً ، لكى تعملوها فى الأرض التى أنتم عابرون إليها لتمتلكوها .

فاحتفظوا جداً لأنفسكم . فإنكم لم تروا صورة ما ، يوم كلمكم الرب فى حوريب من وسط النار ، لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالا منحوتاً ، صورة مثال ما ، شبه ذكر ، أو أنثى ، شبه بهيمة ما ، مما على الأرض ، شبه طير ما ، ذى جناح ، مما يطير فى السماء ، شبه دبيب ما ، على الأرض ، شبه سمك ما ، مما فى الماء ، من تحت الأرض . ولئلا ترفع عينيك إلى السماء ، وتنظر الشمس والقمر والنجوم ، كل جند السماء التى قسمها الرب إلهك لجميع الشعوب التى تحت كل السماء ، فتغتر ، وتسجد لها ، وتعبدها » ( تث ٤ : ١٠ - ١٩ )

وطلب موسى من الله أن يراه .

قال موسى لله : « أرنى مجدك » .

فقال الله له : « لا تقدر أن ترى وجهى ، لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » ( خروج ٢٣ : ١٧ - ٢٠ ) .

وأكد سفر أشعياء ما جاء فى ناموس موسى . ففى الإصحاح الخامس والأربعين : « حقاً أنت إله محتجب . يا إله إسرائيل » ( أش ٤٥ : ١٥ ) .

الله ليس كمثله شىء :

فى التوراة نصوص كثيرة تدل على أن الله تعالى ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير ، ومن هذه النصوص ما يلى :

فى الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية ، يقول موسى عليه السلام : « ليس مثل الله » ( تث ٣٤ : ٢٦ ) .

وفى الإصحاح السادس من سفر الأخبار الثانى يقول سليمان عليه السلام : « أيها الرب إله إسرائيل ، لا إله مثلك فى السماء والأرض » ( ٢ أخ ٦ : ١٤ ) .

وفى الإصحاح السابع من سفر صموئيل الثانى : يقول داود عليه السلام « قد عظمت أيها الرب الإله لأنه ليس مثلك . وليس إله غيرك » ( ٢ صم ٧ : ٢٢ ) .

وجاء هذا القول نفسه فى الإصحاح السابع عشر من سفر الأخبار الأول الآية العشرون هكذا : « يارب ليس مثلك . ولا إله غيرك » .

وفى المزمور الحادى والسبعين يقول داود عليه السلام : « يا ألله من مثلك ؟ » ( مز ٧١ : ١٩ ) .

وجاء هذا القول نفسه فى المزمور التاسع والثمانين هكذا « يارب إله الجنود من مثلك ؟ » ( مز ٨٩ : ٨ ) .

وفى المزمور السادس والثمانين يقول داود « لا مثل لك بين الآلهة يارب ولا مثل أعمالك . كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يارب ويمجدون اسمك ، لأنك عظيم أنت وصانع عجائب . أنت الله وحدك » (مز ٨٦ : ٨ - ١٠) .

وفى المزمور المئة والثالث عشر « ليكن اسم الرب مباركا من الآن وإلى الأبد . من مشرق الشمس إلى مغربها اسم الرب مسبح . الرب عال فوق كل الأمم . فوق السموات مجده . من مثل الرب إلهنا الساكن فى الأعالى ، الناظر الأسافل فى السموات ، وفى الأرض ، المقيم المسكين من التراب ؟ » ( مز ١١٣ : ٢ - ٧ ) .

وفى الإصحاح الرابع والأربعين من سفر أشعياء « هكذا يقول الرب ملك إسرائيل ، وفاديه رب الجنود : أنا الأول وأنا الآخر ، ولا إله غيرى ، ومن مثلى ؟ » ( أش ٤٤ : ٦ - ٧ ) .

وفى الإصحاح السادس والأربعين من سفر أشعياء « اذكروا الأوليات منذ القديم . لأنى أنا الله وليس آخر الإله ، وليس مثلى » ( أش ٤٦ : ٩ ) .

وفى الإصحاح العاشر من سفر إرمياء « لا مثل لك يارب . عظيم أنت . وعظيم اسمك فى الجبروت . من لايخافك يا ملك الشعوب لأنه بك يليق . لأنه فى جميع حكماء الشعوب وفى كل ممالكهم ليس مثلك » ( إر ١٠ : ٦ - ٧ ) .

وفى التاسع والأربعين من إرمياء « لأنه من مثلى ؟ ومن يحاكمنى ؟ ومن هو الراعى الذى يقف أمامى ؟ » ( إر ٤٩ : ١٩ ) .

وفى الإصحاح الاربعين من سفر أشعياء : « فبمن تشبهون الله ؟ وأى شبه تعادلون به ؟ » ( أش ٤٠ : ١٨ ) .

وفى المزمور التاسع والثمانين « لأنه من فى السماء يعادل الرب ؟ من يشبه الرب بين أبناء الله ؟ » ( مز ٨٩ : ٦ ) .

وفى الإصحاح السادس والأربعين من أشعياء « بمن تشبهوننى ، وتسووننى ، وتمثلوننى لنتشابه ؟ » ( أش ٤٦ : ٥ ).

الله لا يحده مكان ولا زمان :

تبين التوراة أن الله موجود فى كل مكان ، وأنه منذ الأزل وإلى الأبد يعمل بقدرته وعنايته وعدالته كل الكون فى كل مكان وكل زمان . ومن نصوص التوراة فى هذا المعنى :

يقول الله تعالى : « ألعلى إله من قريب، ولست إلها من بعيد ؟ إذا اختبأ إنسان فى أماكن مستترة ، أفما أراه أنا ؟ أملأ أنا السموات والأرض ؟ » ( إرمياء ٢٣ : ٢٣ و ٢٤ ) .

ويقول سليمان « أيها الرب إله إسرائيل ... هل يسكن الله حقاً على الأرض؟ هو ذا السموات وسماء السماوات لاتسعك » ( ١ مل ٨ : ٢٢ - ٢٨ ) .

ويقول أيضاً « فى كل مكان عينا الرب مراقبتين الصالحين ، والطالحين » ( أمثال ١٥ : ٣ ) .

ويقول داود « أين أذهب من روحك . ومن وجهك أين أهرب ؟ إن صعدت إلى السموات فأنت هناك . إن فرشت فى الهاوية فها أنت . إن أخذت جناحى الصبح ، وسكنت فى أقاصى البحر ، فهناك أيضاً تهدينى يدك ، وتمسكنى يمينك . فقلت : إنما الظلمة تغشانى فالليل يضىء حولى .

الظلمة أيضاً لا تظلم لديك ، والليل مثل النهار يضىء . كالظلمة هكذا النور » ( مز ١٣٩ : ٧ - ١٢ ) .

هذا . وقد جاء فى التوراة آيات تبين أن الله موجود فى السماء مثل « الرب من السماء أشرف على بنى البشر » ( مز ١٤ : ٢ ) .

وعلماء بنى إسرائيل يقولون : إن هذه الآيات لا تدل على أن الله يجلس

فى السماء . بل تدل على جهة العلو بالنسبة لعقل الإنسان ومداركه . فمعنى أن الله فى السماء أى : الله عال عن مستوى البشر علو السماء عن الأرض ، وهــذه الآيات التى تثبت المـكان لله آيات متشابهة والآيات التى تثبت التنزيه لله وعدم المماثلة آيات محكمات . ويجب أن ترد الآيات المتشابهة إلى الآيات المحـكمات .

## ٢ — صفات الله فى التوراة

تقول التوراة إن الله تعالى :

١ — إله واحد

٢ — موجود فى كل الوجود

٣ — وليس كمثله شىء ، وأنه تعالى متصف بكل كمال ، ومنزه عن كل نقص .

ومن صفاته الحسنة ما يلى :

٤ — الله كامل .

يقول داود عليه السلام « الله طريقه كامل » ( مز ١٨ : ٣٠ )

٥ — الله عالم بكل شىء

« الرب إله عليم » ( صموئيل الأول ١ : ٣٠ )

٦ — الله قادر على كل شىء

يقول الله تعالى « أنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شىء » ( خروج ٦ : ٢ )

٧ — الله عظيم وقوى وجبار

يقول إرمياء « لا مثيل لك يارب عظيم أنت عظيم اسمك فى الجبروت » ( إرمياء ١ : ٦ )

٨ — الله قدوس

« إنى أنا قدوس » ( اللاويين ١١ : ٤١ )

٩ — ١٢ الله بار وصالح وصادق وأمين ووفى ومحسن

« فاحص القلوب والكلى . الله البار » ( مزمور ٧ : ٩ )

« احمدوا الرب لأنه صالح » ( ١ أخ ١٦ : ٣٤ )

« أنا الرب متكلم بالصدق » ( إش ٤٥ : ١٩ )

« فاعلم أن الرب إلهك هو الله ، الإله الأمين ، الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل » ( تث ٧ : ٩ )

« ليس الله إنساناً فيكذب هل يقول ولا يفعل ؟ أو يتكلم ولا يفى ؟ » ( العدد ٢٣ : ١٩ )

١٣ — الله رؤوف رحيم

« الرب إله رحيم رؤوف بطىء الغضب ، وكثير الإحسان والوفاء » ( خروج ٣٤ : ٥ )

١٤ — الله جميل

« واحدة سألت الرب ، وإياها ألتمس : أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى . لكى أنظر إلى جمال الرب » ( مزمور ٢٧ : ٤ )

١٥ — الله هو الخالق وحده الكون والبشر ، وهو إله الخليقة ومالكها والمتسلط عليها .

« فى البدء خلق الله السموات والأرض » ( تكوين ١ : ١ ) « للرب الملك ، وهو المتسلط على الأمم ، قدامه يجثو كل من ينحدر إلى التراب » ( مز ٢٢ : ٢٨ و ٢٩ )

١٦ — الله هو الحى الباقى

« إن العلى متسلط فى مملكة الناس » ( دانيال ٤ : ١٧ )

١٧ — الله هو الذى يعطى ويمنع

« إن يد إلهنا على كل طالبيه للخير . وصولته وغضبه على كل من يتركه » ( عزرا ٨ : ٢٥ ) .

١٨ — الله هو الذى يبارك ويلعن .

« قد جعلت قدامك الحياة والموت . البركة واللعنة . فاختر الحياة لكى تحيا أنت ونسلك » ( تثنية ٣٠ : ٢٠ ) .

١٩ — الله يحفظ الإنسان ويحميه .

« الله لنا ملجأ وقوة . عوناً فى الضيقات . وجد شديداً . لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض. ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار » (مزمور ٤٦ :١- ٢) .

٢٠ — الله هو القاضى ويقضى بالعدل .

فى سفر التثنية « لا تهابوا وجه إنسان ، لأن القضاء لله » ( تث ١ : ١٧ ) .

« ثبت للقضاء كرسيه ، وهو يقضى للمسكونة بالعدل » ( مزمور ٩:٧-٨)

« أنا الرب محب العدل » ( إش ٦١ : ٨ ) « ليس عند الرب إلهنا ظلم ولا محاباة ولا ارتشاء » ( ٢ أخ ١٩ : ٧ ) .

٢١ — الله حكيم .

« ليكن اسم الله مباركا من الأزل وإلى الأبد لأن له الحكمة والجبروت » ( دانيال ٢ : ٢٠ ) .

٢٢ — الله قديم .

« فى البدء خلق الله السموات والأرض . وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة ، وريح الله يرف على وجه المياه[1] » ( تكوين ١ : ١ - ٢ )

« الإله القديم ملجأ » ( تث ٣٣ : ٢٧ ) .

---

(١) اليهود يقولون « ريح » والنصارى يقولون « روح » انظر « رسالة فى اللاهوت والسياسة لسبينوزا .

٢٣ — الله قائم بنفسه .

يقول موسى عليه السلام : « إنى باسم الرب أنادى : أعطوا عظمة لإلهنا . هو الصخر الكامل صنيعه . إن جميع سبله عدل . إله أمانة لا جور فيه صديق وعادل هو » ( تثنية ٣٢ : ٣ - ٤ ) .

٢٤ — الله مريد .

يقول الله فى التوراة : « إذا سننت سيفى البارق وأمسكت بالقضاء يدى أرد نقمة على أضدادى وأجازى مبغضى » ( تث ٣٢ : ٤١ ) .

٢٥ — الله حى .

٢٦ — الله متكلم .

يقول الله تعالى فى التوراة « انظروا الآن : أنا . أنا هو . وليس إله معى . أنا أميت وأحيى . سحقت وإنى أشفى وليس من يدى مخلص إنى أرفع إلى السماء يدى ، وأقول حى أنا إلى الأبد » ( تثنية ٣٢ : ٣٩ - ٤٠ ) « إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته » ( تث ٣٠ : ٢٠ ) .

٢٧ — الله سميع .

٢٨ — الله بصير .

قد ذكرنا آيات على سمع الله وبصره .

ونقول هنا :

لو لم يكن الله سميعاً بصيراً ما كان يقول فى الإصحاح الثالث عشر من سفر التثنية « وراء الرب إلهكم تسيرون ، وإياه تتقون ، ووصاياه تحفظون ، وصوته تسمعون ، وإياه تعبدون ، وبه تلتصقون » ( تث ١٣ : ٤ ) .

وما كان يبين لهم أن يوم القيامة حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور .

وهذا هو النص من الأسفار الخمسة على يوم القيامة :

يقول الله تعالى :(١) « أليس ذلك مكنوزاً عندى ، مختوما عليه فى خزائنى ؟ لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم . إن يوم هلاكهم قريب ، والمهيآت لهم مسرعة . لأن الرب يدين شعبه ، وعلى عبيده يشفق . حين يرى أن اليد قد مضت ، ولم يبق محجوز ولا مطلق . يقول : أين آلهتهم الصخرة التى التجأوا إليها؟ .. » ( تثنية ٣٢ : ٣٤ إلخ ) .

وقد استدل المسيح عليه السلام بنص غير هذا على يوم القيامة من الأسفار الخمسة . كما بينا بوضوح فى تقديمنا لكتاب « يقظة أولى الاعتبار بما ورد فى ذكر النار وأصحاب النار »(٢) وتعليقنا عليه .

٢٨ — الله رحيم وغفور .

« الرب . الرب . إله رحيم ، ورؤوف ، بطىء الغضب ، وكثير الإحسان والوفاء ، حافظ الإحسان إلى ألوف . غافر الإثم والمعصية والخطية . ولكنه لن يبرىء إبراء » ( خروج ٣٤ : ٦ - ٧ ) .

٢٩ - الله ذو هيبة ورهبة .

جاء فى سفر القضاة « تزلزلت الجبال من وجه الرب » ( قض ٥ : ٥ ) .

٣٠ — صفات الله ثابتة .

فى سفر ملاخى يقول الله عن نفسه « أنا الرب لا أتغير » ( ملاخى ٣ : ٦ )

---

(١) التعبير بيقول الله تعالى : على حسب اعتقاد أهل الكتاب فى صحة التوراة .
(٢) فى تقديمنا لكتاب « يقظة أولى الاعتبار مما ورد فى ذكر النار وأصحاب النار » ذكرنا آيات من التوراة ، وآيات من الإنجيل على يوم القيامة اطلب الكتاب من مكتبة عاطف بجوار إدارة الأزهر بمصر .

## ٣ ـ أسماء الله فى التوراة

وبعد ما بينا أن الله واحد وأنه موصوف بالصفات الطيبة المعظمة . ومنزه عن كل نقص .

نبين أسماء الله كما وردت فى التوراة .

١ ـ الاسم الأول : ( ألوهيم ) وهو اسم عبرانى يترجم فى اللغة العربية ( الله ) وهو لفظ فى صيغة الجمع باللغة العبرانية يدل على المعظم نفسه ، كما جاء فى المزامير من ٤٢ - ٧٢ .

٢ ـ الاسم الثانى ( أهوه ) أو ينطق ( يهوه ) أو ( جيهوفاه ) أو ( يهوفا ) ومعناه ( الله ) أو (الرب) كما جاء فى الإصحاح الثالث من سفر الخروج « فقال : موسى لله ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم : إله آبائكم أرسلنى إليكم . فإذا قالوا لى ما اسمه ؟ فماذا أقول لهم ؟ فقال الله لموسى أهيه الذى أهيه . وقال هكذا تقول لبنى إسرائيل : أهيه أرسلنى إليكم . وقال أيضاً لموسى : هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب إرسلنى إليكم هذا اسمى إلى الأبد » ( خروج ٣ : ١٣ - ١٥ ) .

٣ ـ الاسم الثالث ( أدوناى ) ويترجم فى العربية ( السيد ) وقد يترجم ( الرب ) بمعنى الصاحب .

جاء فى المزمور المائة والعاشر « قال الرب لربى ... إلخ .

وفى ترجمة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٦٨ م ببيروت .

« قال الرب لسيدى إلخ » .

٤ ـ الاسم الرابع ( إيل ) ويستعمل غالباً مع صفة مثل ( إيل عليون ) أى الله العلى ومثل ( إسرائيل ) أى الذى جاهد مع الله ( تكوين ٣٢ : ٢٨ ) .

## ٤ — كيف أعلن الله عن نفسه للناس ؟

تقول التوراة إن الله أعلن عن ذاته وكشف عن حقيقته للناس عن طريق واحد من ثلاثة طرق للإعلان والكشف .

الأول : الوحى .

الثانى : من وراء حجاب .

الثالث : إرسال الأنبياء والرسل .

أما رؤية الإنسان لله وجهاً لوجه فهذا مستحيل . لأن الإنسان لا يقدر على مواجهة الله وجهاً لوجه .

تقول التوراة إن مريم أخت موسى وهارون أخيه ، غضبا عليه بسبب تزوجه من امرأة كوشية (حبشية) فطلب الله منهم أن يكونوا فى خيمة الاجتماع « فقال الرب حالا لموسى وهرون ومريم: اخرجوا أنتم الثلاثة إلى خيمة الاجتماع فخرجوا هم الثلاثة ، فنزل الرب فى عمود سحاب ، ووقف فى باب الخيمة ، ودعا هرون ومريم فخرجا كلاهما فقال: اسمعا كلامى ، إن كان منكم نبى للرب فبالرؤيا أستعلن له ، فى الحلم أكلمه. وأما عبدى موسى فليس هكذا بل هو أمين فى كل بيتى فما إلى فم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز وشبه الرب يعاين » ( عدد ١٢ : ٤ - ٨ ) .

يوضح هذا النص أن الثلاثة لم يروا الله جهرة بل سمعوا الصوت فى ظلل من الغمام وأن موسى نفسه لم ير الله لقوله « وشبه الرب يعاين » أى يرى مجد الله فيتأكد من وجوده فيكون علمه به منزلا منزلة رؤيته له .

ويوضح النص أن الله يعلن ذاته بواسطة الرؤيا « بالرؤيا أستعلن له . فى الحلم أكلمه » .

وما كان الله يكلم موسى وجهاً لوجه . بل كما تقول التوراة من وراء حجاب ومن طرق الكلام من وراء حجاب :

(١) قال الله لموسى اصنع صندوقا . واجعل له غطاء وضع على الغطاء كروبين - صورة ملاكين - وضع العهد فى الصندوق وإذا أردت مخاطبتك، أخاطبك من على غطاء الصندوق .

تقول التوراة :

« وتجعل الغطاء على التابوت من فوق ، وفى التابوت تضع الشهادة التى أعطيك وأنا اجتمع بك هناك . وأتكلم معك من على الغطاء ، من بين الكروبين الذى على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بنى إسرائيل » (خروج ٢٥ : ٢١ - ٢٢) .

وواضح مما تقدم أن الله أوحى إلى موسى وأن الله كلمه من وراء حجاب وأن الله أرسله إلى الناس ليعرفهم عن الله وشريعته .

(ب) وفى التوراة أن الله لم يكلم موسى من فوق غطاء التابوت فقط بل كلمه فى ظلل من الغمام « فقال الرب لموسى : ها أنا آت إليك فى ظلام السحاب لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمنوا بك أيضا » (خروج ١٩ : ٩) .

ولقد كلم الله موسى من وراء السحاب كما تقول التوراة « وأما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله » (خروج ٢٠ : ٢١) أى يريد أن يكلم موسى .

ولقد كانت ظلل الغمام على جبل سيناء . وكانت ظلل الغمام أيضاً تحل على خيمة الاجتماع إذا أراد الله أن يكلم موسى . لقد أمر الله موسى أن يصنع خيمة ويضعها بعيدا عن سكنى بنى إسرائيل . كما جاء فى نص التوراة « وأخذ موسى الخيمة ونصبها له خارج المحلة ودعاها خيمة الاجتماع فكان كل من يطلب الرب يخرج إلى خيمة الاجتماع التى خارج المحلة وكان جميع الشعب إذا خرج موسى إلى الخيمة يقومون ويقفون كل واحد فى باب خيمته وينظرون وراء موسى حتى يدخل الخيمة . وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة ويتكلم الرب مع موسى فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفاً عند باب الخيمة .

ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد فى باب خيمته ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه » ( خروج ٣٣ : ٧ - ١١ ) .

وواضح من هذا النص أن الله كان يكلم موسى فى خيمة الاجتماع . لكن هل كان الكلام فى خيمة الاجتماع « وجها لوجه » كما هو ظاهر النص أم أن المراد من النص حقاً هو تأكيد التوراة على أن موسى كان يفهم كلام الرب بوضوح وجلاء وما كانت رهبة الله تحول بين فهم موسى لكلام الله واضحاً ؟ إن المراد من النص حقاً هو تأكيد التوراة على أن موسى كان يفهم كلام الرب بوضوح وجلاء . إذ لو كانت التوراة تريد ظاهر الكلام ما كانت تنص على قول الله لموسى « لا تقدر أن ترى وجهى . لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » وقول الله عن موسى «وشبه الرب يعاين » أى يرى مجد الله لا ذات الله . وهذا المعنى هو الذى قال به مفسرو التوراة يقولون : « ليس معنى « وجهاً لوجه » أن موسى رأى وجه الله . ولكن هذه الكلمات تعنى الشركة المباشرة القريبة مع الله إلى درجة لم تتح لإنسان آخر . لقد كان الإعلان للآخرين عن طريق الرؤى والألغاز . وأما لموسى فقد كان فكر الله واضحاً وضوح فكر الإنسان إذ يخاطب صديقه الإنسان )[1] .

* * *

وأسفار الأنبياء قد نصت على عدم رؤية الله كما نص كتاب موسى ففى سفر أيوب يقول أيوب عن الله « السحاب ستر له فلا يرى » ( أيوب ٢٢ : ١٤ ) .

وكلم أيوب ربه . وناداه الله من وسط العاصفة وسمع أيوب الصـــوت

---

(١) ص ٢٦٨ ج ١ تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسيس.

ففى الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر أيوب ما نصه « فأجاب الرب أيوب من العاصفة وقال ... إلخ » ( ٣٨ : ١ ) .

وفى إنجيل يوحنا أن الله كلم النبى المسيح بن مريم من وراء حجاب كما كلم موسى وأيوب ففى الإصحاح الثانى عشر يقول المسيح له « أيها الآب مجد اسمك فجاء صوت من السماء مجدت ، وأمجد أيضاً ، فالجمع الذى كان واقفاً وسمع قال : قد حدث رعد . وآخرون قالوا . قد كلمه ملاك ، أجاب يسوع وقال : ليس من أجلى صار هذا الصوت ، بل من أجلكم » ( يو ١٢ : ٢٨ - ٣٠ ) .

* * *

وبعد ما تحدثنا عن كلام الله للبشر من وراء حجاب . نتحدث عن كلام الله للبشر بواسطة الملائكة وبواسطة الانبياء .

الملائكة رسل الله الروحانيين ، الذين لا جسد لهم يراه الإنسان ، ولا صوت لهم يسمعه ، بيد أن لهم القدرة المستمدة من قدرة الله على الظهور بهيئة مرئية والكلام بصوت مسموع ليبلغوا الإنسان مشيئة الله ، ويؤدوا إليه ما أراد له الله من خير إذا أحسن وينفذوا عليه ما أراد الله له من عقاب إذا أساء .

ومن الأدلة على ذلك : « ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء . وقال بذاتى أقسمت يقول الرب : إنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك . أباركك مباركة ، وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء » ( تكوين ٢٢ : ١٥ - ١٧ ) .

والأمر الأكثر حدوثا حين يريد الله أن يعلن نفسه للانسان ويبلغه مشيئته أن يفعل ذلك بواسطة نبى يختاره من بين الأطهار الابرار من الناس . ثم يكلمه من وراء حجاب كما كلم موسى . أو يكلمه بواسطة ملاك من الملائكة مثل جبريل عليه السلام . أو يوحى إليه بالهام أو فى منام وقد أيد الله أنبياءه بالمعجزات ، وبالتنبؤ عن أحداث تحدث فى مستقبل الأيام ليصدقهم الناس

فى دعوى النبوة . ومن الأدلة على ذلك قول الله لموسى عن نبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم : « أقيم لهم نبياً ، من وسط إخوتهم ، مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى . أنا أطالبه ... إلخ » ( تث ١٨ : ١٥ - ٢٢ )

ومن الأدلة على ذلك أيضاً « وكان لما رأيت أنا دانيال الرؤيا ، وطلبت المعنى . إذا بشبه إنسان واقف قبالتى ، وسمعت صوت إنسان بين أولاى . فنادى وقال : يا جبرائيل فهم هذا الرجل الرؤيا ، فجاء إلى حيث وقفت ... إلخ » ( دانيال ٨ : ١٥ ) .

## ٥ - المحكم والمتشابه فى ذات الله وصفاته فى التوراة

ومع ما قدمنا نجد فى التوراة آيات متشابهات .

١ - آيات تذكر أن لله تعالى وجها وعينين وأجفاناً وأذنين وأنفاً وفماً وذراعاً ويداً وهكذا أعضاء لله مثل أعضاء الإنسان .

٢ - وآيات تنسب صفات الإنسان وأفعاله ومشاعره إلى الله .

٣ - وآيات تذكر أن الله تعالى ظهر لبعض الناس ظهوراً شخصياً وتكلم معهم فما تفسير ذلك ؟

### ١ - آيات الأعضاء

الآيات التى تذكر أن لله تعالى وجها وعينين ... إلخ هذه الآيات تؤول وتفسر بالمعنى المجازى لا بالمعنى الحقيقيين فاليد كناية عن القدرة . والعين كناية عن العلم ، والأذن كناية عن السمع ... وهكذا مثال ذلك :

١ - قال الله لموسى « لا تقدر أن ترى وجهى » ( خروج ٣٣ : ٢٠ ) المراد بالوجه ذات الله تعالى فالوجه يعبر به عن الجملة والذات .

٢ - « الرب فى السماء كرسيه ، عيناه تنظران ، أجفانه تمتحن بنى آدم »

( مزمور ١١ : ٤ : ٥ ) أى أن الله يعلم ويرى ... وهكذا . وقد وضح سفر أيوب هذا المعنى فقد قال أيوب عن الله « لأنه ليس هو إنسانا مثلى » ( أيوب ٩ : ٣٢ ) .

## ٢ — آيات صفات الإنسان وأفعاله ومشاعره

فى التوراة أن الله يستحى وينسى ويجلس على كرسى فى السماء . ومعنى ذلك عند بنى إسرائيل أن الله تحدث عن نفسه إلى الناس على قدر عقولهم فنسب إلى نفسه الصفات التى هى فيهم ليدركوا ذاته وصفاته بسهولة تامة . مثال ذلك : « ثم ذكر الله نوحا » ( تكوين ٨ : ١ ) وما كان الله قد نساه . ومثال ذلك : قول داود عن الله « الرب فى السماء كرسيه » ( مزمور ١١ : ٤ ) . وتفسير ذلك : لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة .

## ٣ — آيات ظهور الله شخصيا للناس

حينما يتحدث كاتب التوراة بأن الله تعالى ظهر لبعض الناس ظهوراً شخصيا مباشراً ، فإنه لا يقصد ظهور الله تعالى نفسه ، بل يقصد أحيانا ملاك من ملائكة الله . هذا الملاك هو الذى ظهر وتحدث نيابة عن الله تعالى . مثال ذلك .

١ — لما صعد بنو إسرائيل متجهزين من أرض مصر ، وأخذ موسى عظام يوسف معه .

تقول التوراة « وكان الرب يسير أمامهم نهاراً ، فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق ، وليلا فى عمود نار ليضىء لهم . لكى يمشوا نهارا وليلا ، لم يبرح عمود السحاب نهارا ، وعمود النار ليلا من أمام الشعب » ( خروج ١٣ : ٢١ - ٢٢ ) ظاهر النص على أن الذى كان يمشى مع بنى إسرائيل هو الرب نفسه . فهل الرب نفسه هو الذى كان يمشى أم ملاك من ملائكة الرب ؟

إن الذى كان يمشى هو ملاك من ملائكة الرب نفسه . بدليل ما جاء فى الإصحاح الرابع عشر من سفر الخروج ونصه « فانتقل ملاك الله ، السائر أمام

عسكر إسرائيل ، وسار وراءهم وانتقل عمود السحاب من أمامهم ، ووقف وراءهم » ( خر ١٤ : ١٩ ) .

٢ — وكانت أم شمشون الجبار عاقراً فظهر لها ملاك الرب وبشرها بغلام . وظهر أيضاً لرجلها وبشره ، ولما صعد الملاك إلى السماء قال الرجل لامرأته عن الملاك « إننا قد رأينا الله » وهو لم ير الله ، بل رأى ملاك الله .

تقول التوراة : « وكان رجل من صرعة من عشيرة الدانيين . اسمه منوح ، وامرأته عاقر لم تلد ؟ فتراءى ملاك الرب للمرأة ، وقال لها : ها أنت عاقر لم تلدى ، ولكنك تحبلين وتلدين ابناً . والآن فاحذرى ، ولا تشربى خمراً ولا مسكراً ، ولا تأكلى شيئاً نجساً . فها إنك تحبلين وتلدين ابناً ، ولا يعل موسى رأسه ، لأن الصبي يكون نذيراً لله من البطن . وهو يبدأ يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين . فدخلت المرأة ، وكلمت رجلها قائلة : جاء إلى رجل الله ، ومنظره كمنظر ملاك الله مرهب جداً ، ولم أسأله : من أين هو ؟ ولا هو أخبرنى عن اسمه . وقال لى : ها أنت تحبلين ، وتلدين ابناً . والآن فلا تشربى خمراً ، ولا مسكراً ولا تأكلى شيئاً نجساً . لأن الصبي يكون نذيراً لله من البطن إلى يوم موته .

فصلى منوح إلى الرب . وقال أسألك يا سيدى أن يأتى أيضاً إلينا رجل الله الذى أرسلته ، ويعلمنا ماذا نعمل للصبي الذى يولد ؟ فسمع الله لصوت منوح . فجاء ملاك الله أيضاً إلى المرأة وهى جالسة فى الحقل ومنوح رجلها ليس معها ، فأسرعت المرأة وركضت وأخبرت رجلها .

وقالت له : هو ذا قد تراءى لى الرجل . وقال له : أأنت الرجل الذى تكلم مع المرأة ؟

فقال : أنا هو .

فقال منوح : عند مجىء كلامك . ماذا يكون حكم الصبي ومعاملته ؟

فقال ملاك الرب لمنوح : من كل ما قلت للمرأة فلتحتفظ . من كل ما يخرج

من جفنة الخمر لا تأكل ، وخمراً ومسكراً لا تشرب ، وكل نجس لا تأكله لتحذر من كل ما أوصيتها .

فقال منوح لملاك الرب : دعنا نعوقك ، ونعمل لك جدى معزى .

فقال ملاك الرب لمنوح : ولو عوقتنى لا آكل من خبزك ، وإن عملت محرقة فللرب أصعدها . لأن منوح لم يعلم أنه ملاك الرب

فقال منوح لملاك الرب : ما اسمك حتى إذا جاء كلامك نكرمك ؟

فقال له ملاك الرب : لماذا تسأل عن اسمى ، وهو عجيب ؟ فأخذ منوح جدى المعزى والتقدمة وأصعدها على الصخرة للرب . فعمل عملا عجيبا ، ومنوح وامرأته ينظران . فكان عند صعود اللهيب عن المذبح نحو السماء ان ملاك الرب صعد فى لهيب المذبح ، ومنوح وامرأته ينظران . فسقطا على وجهيهما إلى الأرض . ولم يعد ملاك الرب يتراءى لمنوح وامرأته .

حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب .

فقال منوح لامرأته : نموت موتا ، لأننا قد رأينا الله » ( قضاة ١٣ : ٢ — ٢٢ ) .

٣ — وفى التوراة أن يعقوب صارع الله ، والله صارع يعقوب ، وكانت الغلبة فى المصارعة ليعقوب عليه السلام [١] .

هكذا ظاهر الألفاظ فى التوراة . وكاتب التوراة لا يريد أن يقول أن المصارعة مع الله تعالى . بل يريد أن يقول : إن المصارعة مع ملاك من ملائكة الله . وهذا واضح من سفر هوشع ففيه بدل لفظ ( الله ) لفظ ( الملاك ) وواضح مما جاء فى التوراة من أن الله لا يرى ، ولا يقدر أحد أن يراه .

( ١ ) فى الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر التكوين : « فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه .

وقال : أطلقنى ، لأنه قد طلع الفجر .

فقال : لا أطلقك إن لم تباركنى .

فقال له : ما اسمك ؟

فقال : يعقوب .

فقال : لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب ، بل إسرائيل . لأنك جاهدت مع الله ، والناس وقدرت .

وسأل يعقوب .

وقال : أخبرنى باسمك .

فقال : لماذا تسأل عن اسمى ؟ وباركه هناك .

فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل . قائلا : لأنى نظرت الله وجها لوجه ، ونجيت نفسى» ( تك ٣٢ : ٢٤ - ٣٠ )

(ب) وفى الإصحاح الثانى عشر من سفر هوشع « فى البطن قبض بعقب أخيه وبقوته جاهد مع الله . جاهد مع الملاك . وغلب ، بكى واسترحمه . وجده فى بيت إيل ، وهناك تكلم معنا . والرب إله الجنود ، يهوه ، اسمه ، وأنت فارجع إلى إلهك . احفظ الرحمة والحق . وانتظر إلهك دائما » ( هو ١٢ : ٣ - ٦ ) .

٤ — وبمثل ما قدمنا يفهم الفاهمون معنى ظهور الرب لإبراهيم عليه السلام عند « بلوطات ممرا » فى قول التوراة « وظهر له الرب عند بلوطات ممرا ، وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه » ثم بعدما ذبح عجلا وصنع ضيافة لهم ولم يأكلوا ، انطلق إثنان إلى ( سدوم ) لمقابلة لوط عليه السلام ، وعبر الكاتب عنهما بقوله « وقال الرجلان لوط ... » ثم عبر عنهما بقوله « ولما طلع الفجر كان الملاكان يعجلان لوطا » فقد عبر الكاتب عن الملائكة بلفظ الرجال وبلفظ الملائكة وأطلق على رئيسهم لفظ ( الرب ) وهو لا يقصد الرب تبارك وتعالى لأن الله لا يرى كما جاء فى الآيات المحكمات ( تكوين ١٨ و ١٩ ) .

## تفسير الأحبار للمحكم والمتشابه

وهذا الذى بيناه هو ما اعترف وصرح به كثيرون من أحبار اليهود :

١ — يقول ابن كمونه ـ وهو من اليهود العبرانيين ـ سعد بن منصور البغدادى الإسرائيلى المتوفى سنة ٦٨٣ ﻫ فى مدينة الحلة ببغداد « يجب أن يكون الأصل الأول فيما يسنه النبى الحقيقى أن يعرف الناس أن لهم صانعا واحداً حياً قادراً لا شريك له فى ملكه ولا شبيه ولا نظير . عالما بالسر والعلانية ، لا يعزب عن علمه شىء فى السموات ولا فى الارض ، وأن من حقه أن يطاع ، وأنه قد أعد السعادة لمن أطاعه ، والشقاوة لمن عصاه ، وأن يقرر عندهم أمر المعاد الاخروى ، وأن هناك من اللذة الأبدية ما هو ملك عظيم ، ومن الألم ما هو عذاب مقيم »(١) .

٢ — ويقول أبو الفتح بن أبى الحسن السامرى ـ وهو من اليهود السامريين ـ عن السامريين « إنهم يعبدون إلها لا يرى ، ولا يكيف بكيفية »(٢) .

٣ — يقول سبينوزا الفيلسوف « لما كانت عادة الكتاب إعطاء الله صورة الإنسان . وذلك لضعف مستوى التفكير عند العامة كما اعتاد أن ينسب له نفسا وحساسية وانفعالات بل وينسب إليه بدنا ونفسا فإن عبارة روح الله فى الكتب المقدسة تدل دائما على النفس أى على القلب والانفعال أو القوة أو النفس من فم الله »(٣) .

٤ — ويقول الدكتور شمعون يوسف مويال « الروح الإسرائيلى الحقيقى من مقتضاه الإيمان بخالق مهتم بخلقه لأمورهم مباشرة وموجد لكل موجود من

---

(١) ص ١٤ — ١٥ تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث.

(٢) التاريخ مما تقدم عن الآباء ص ١٠٣ .

(٣) ص ١٣٥ — ١٤٢ رسالة فى اللاهوت والسياسة .

العدم بلا واسطة والإيمان بأن الألفاظ الواردة فى التوراة الدالة على التجسيم لم تكن سوى تعبيرات بسيطة يقصد منها تقريب المعنى المقصود من فهم العوام»(١) ا . هـ .

## الفيلسوف « ابن كمونة »

### يشرح عقيدة اليهود فى تنزيه الله وبعث الأموات

يقول ابن كمونة عن اليهود : « وجميع ما وصاهم الله به على لسان رسوله الأمين موسى صلوات الله عليه هو اعتقاد التوحيد وترك عبادة الأصنام وأن لا يشركوا بالله شيئاً وأن ينزهوه عن الشبيه والنظير والمعين والمشير وأن يعبدوه وحده ويحبوه بكل قلوبهم وأنفسهم وجهدهم ويخافوه ويستعينوا به ويتوكلوا عليه وأن يعتقدوا أنه العالم الذى لا يعزب عن علمه شىء والقادر على كل شىء والخالق لكل شىء وأنه هو الذى يميت ويحيي ويمرض ويشفى ولا منجى من قدرته وأنه الأول والآخر . لا إله آخر سواه وأمرهم بمكارم الأخلاق وبالصلاة والصوم والصدقة والبذل والإنصاف والوفاء بالعهد والنذر وإكرام الوالدين والعلماء وإطاعة الولاة وإكرامهم وأن يحبوا لغيرهم من الخير ما يحبونه لأنفسهم وعرفهم ما يسلكونه من طريق السياسات المنزلية والمدنية والنفسية ونهاهم عن الرذائل والجور والقتل والسرقة والزناء وتمنى مال الغير .

واعتقدت اليهود أن ثواب الطاعة هو الخلود فى نعيم الجنة والعالم الآتى . وعقاب المعصية هو العذاب فى جهنم من غير خلود لمعتقد هذه الشريعة وإن كان عاصيا ولم يبين شىء من ذلك فى التوراة تبيينا مصرحا . للسبب الذى سنذكره .

ولكن أحبار الأمة وعلماءهم ونقلة شرعهم نقلوه وذكروا صفة الجنة وجهنم ووصفوا النعيم والعذاب بأشد استقصاء وأوجبوا ذكر الإيمان بإحياء الأموات فى كل صلاة وحكموا بأنه لا تصح صلاة أخل فيها بذلك وأوجبوا

(١) ص ٥٣ التلمود أصله وتسلسله وآدابه .

ذكره أيضا فى كل يوم من غير الصلاة وأوجبوه أيضاً عند رؤية مقابر هذه الأمة ولقنوا من وجب قتله عندهم قبل قتله أن يسأل أن تكون قتلته تلك كفارة عن ذنبه .

ومنهم من اعتقد أن بعث الأموات يحصل مرتين مرة فى زمن المسيح المنتظر عندهم وذلك البعث مختص بالصالحين من الأمة على وجه المعجز للمسيح وكرامة لأولائك الصالحين وتارة ببعث الموتى فى القيامة العامة لكافة الناس الصالحين منهم والطالحين للجزاء بالثواب الأبدى على الطاعة وبالعقاب على المعصية .

واعتقدوا أيضا بقاء الأنفس بعد فساد الأجساد وأنها لا تعدم أبدا لورود ذلك فى كتب الأنبياء بعد موسى عليه السلام ولنقل أحبارهم وعلمائهم الصادقين له.

ونبغ منهم من زعم أن العالم الآتى هو ما بعد الموت فقط . وأن الثواب الأبدى والعقاب إنما هو للأنفس المجردة بعد خراب أجسادها وليسا جسمانيين ، بل هما روحانيان فحسب والنصوص الكثيرة المنقولة عن علمائهم وحملة شرعهم ناطقة بالمجازاة بالثواب والعقاب بعد عود الأنفس إلى الأبدان وهى غير محتملة للتأويل عند كل عاقل يتأملها جميعها (١).

اعتراضات على اليهود

ويقول ابن كمونة إن الناس(٢) قد اعترضوا على الملة اليهودية بجملة اعتراضات منها هذا الاعتراض .

ونصه : « إنا نجد فى التوراة التى بأيديهم مواضع كثيرة تدل على التجسيم والتشبيه وصفة الله تعالى بما يستحيل وصفه به إلى غير ذلك من الكفريات والأمور التى تستبعدها العقول بل تمنع من وقوعها فيمتنع أن يكون ذلك منزلا من الله تعالى . وذلك مثل الإخبار بصعود موسى إلى الجبل مع مشائخ أمته فأبصروا الله هناك . ومثل أنه خلق آدم بصورة الله ومثل أن نوحاً لما خرج من السفينة بدأ ببناء مذبح لله تعالى وقرب عليه القرابين فاستنشق الله رائحة القتار . وأن اللوحين

(١) ص ٢٦ — ٢٧ تنقيح الأبحاث .

(٢) منهم صاحب : الفصل فى الملل والأهواء والنحل .

مكتوبان بإصبع الله ، وأنهم ينسبون إليه تعالى : الندم والغضب والمحبة والتكلم بالصوت والحرف وغير ذلك مما هو منزه عنه ، ا . ه .

وبعد أن ذكر ابن كمونة نص الاعتراض أجاب عنه بما نصه :

«وجوابه : أن النهى عن التشبيه والتمثيل مذكور فى عدة مواضع من التوراة وثانى الكلمات العشر المكتوبة على اللوحين هو النهى عن اتخاذ إله دون الله وعن الإشراك به وعن التمثيل والتشبيه والتخييل .

وأما أن المشائخ أبصروا الله فقد قيل إنه وإن كان فى اليقظة فهو على مثل ما يرى فى المنام لا بالحس الظاهر والدلالة القاطعة على ذلك : أنه حيث نهاهم الله تعالى فى التوراة فى موضع آخر عن التشبيه وحذرهم من اعتقاده ذكرهم أنهم لم يروا فى ذلك الموقف شيئاً من الصور . وما ذاك إلا لأنه نفى الرؤية الحقيقية بالعين الباصرة فتعين أن تكون الرؤية المثبتة فى هذا الموضع لا من ذلك القبيل وذلك لأن الله تعالى تلطف فوضع نسبة بين الحس الباطن ، والمعنى الغير المتجسم فجعل لمن شرفه من خلقه عينا باطنة ترى أشياء ويستدل بالعقل على معانى تلك الأشياء ولبابها . ومن خلقت له تلك العين هو البصير بالحقيقة .

ولعل تلك العين هى القوة المتخيلة مهما خدمت القوة العقلية فترى صورة عظيمة هائلة تدل على حقائق لا ريب فيها .

وكما لا تقدر على تحصيل معانى صلاة بمجرد الفكر دون قراءة ولا عد مائة مثلا دون نطق لا سيما إن أردت أن تؤلفها مع أعداد مختلفة فكذلك لولا الحس الذى يضبط النظام العقلى بمثالات وحكايات لكان لا ينضبط . فهكذا يحتمل أن يكون الحال فيما انتظم لموسى ومشائخ بنى إسرائيل من عظمة الرب تعالى بما رأوه من عظمة تلك الصورة المخلوقة لهم وبهائها وبما اقترن برؤيتها من الأمور الهائلة ونحن كالعمش الذين لا يحتملون أبصار ذلك النور فنقتدى بالبصراء القادرين على رؤيته ، وما جرب من رؤية الصور فى المنام وفى اليقظة على غير حقائقها

يسهل تصـــور ذلك ويزيل الإستبعاد وإن كانت المناسبة بين الإدراكين بعيدة جداً .

وكما أن الحرف والصوت الدال على كلام الله الذى ليس بحرف ولا صوت يسمى كلام الله أيضاً فكذلك هذه الصورة التى خلقها الله تعالى ليراها الأنبياء والأولياء الدالة على عظمته وجلاله عز وجل قد تسمى باسم الإله على وجه المجاز ولا محذور فى ذلك إذا لم يعتقد التجسيم والتشبيه والحلول .

وبهذا ينحل : خلق الله آدم على صورته وأن الصورة قد تطلق ولا يراد بها الشكل والتخطيط ولعلها لم توضع لذلك وقد ذكروا فى رؤية الله وخلق آدم على صورته تأويلات أخرى لا حاجة إلى ذكرها .

وأما استنشاق قتار القرابين فهو كناية عن تقبلها ، كما يقال سمع الله دعاءه بمعنى تقبله وأصبع الله مستعارة لقدرته كما تستعار اليد لذلك فى لغتى العبرانية والعربية ويدل على ذلك دلالة قطعية ما جاء فى التوراة حكاية عن المصريين أنهم لما ابتلوا بما ابتلوا به قالوا: أصبع الله هى(١). ومعلوم أن مرادهم بذلك قدرة الله ، ومن يفعل ما يفعله النادم منا يسمى نادماً بالمجاز ، وقد نطقت التوراة وكتب الأنبياء بأن الله تعالى لا يصح عليه الندم فلا بد من حمل الندم المنسوب إليه على التأويل بما قلناه وذلك أنه لما أهلك الله تعالى الخلائق بالطوفان أخبر قبل ذلك أنه يهلكهم وعبر عن ذلك بأنه ندم على خلقهم تمثيلا بمن يندم على شىء فعله يستدرك ذلك بترك فعله ونسبة الغضب إليه لمثل ذلك فإن الغضبان من شأنه أن ينتقم ممن غضب عليه فلهذا عبر عن انتقامه عز وجل بالغضب ولأجل أن المحب منا يكثر العناية والشفقة على من يحبه سميت رحمة الله وشدة عنايته محبة . لا لأنه ينفعل انفعال الغضبان والمحب. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وأما كلامه بالصوت والحرف فقد عرفت الحال فيه. وعلى مثل هذا هو تأويل

(١) يشير ابن كمونة إلى أن المصريين لما ابتلاهم الله بالبعوض ، ولم يستطع العرافون إخراجه من أرض مصر « قال العرافون لفرعون : هذا أصبع الله » ( خروج ٨ : ١٩ )

كل ما ورد من ذلك وما يناسبه فى كتب سائر الأنبياء الذين على ملة موسى . وفى كتب الأحبار والعلماء. وقد صنف المتأخرون من اليهود كتباً توضح ذلك وأمثاله إيضاحاً أبسط من هذا ، ا . هـ(١).

## موافقة علماء المسلمين على هذا الرأى

ذكر الدكتور صبحى الصالح فى كتابه « مباحث فى علوم القرآن » طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م ما يلى :

١ — ذكر الرازى الحكمة من متشابه الصفات فقال : « إن القرآن يشتمل على دعوة الخواص والعوام وطبائع العوام تنبو فى أكثر الأمور عن إدراك الحقائق فمن سمع من العوام فى أول الأمر : إثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار إليه ظن أن هذا عدم ونفى محض فيقع فى التعطيل فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما تخيلوه وما توهموه ويكون ذلك مخلوطاً بما يدل على الحق الصريح. فالقسم الأول : ـ وهو الذى يخاطبون به فى أول الأمر ـ من باب المتشابه والقسم الثانى ـ وهو الذى يكشف عن الحق الصريح ـ هو المحكم »(٢).

٢ — ذكر ابن اللبان فى كتابه « رد الآيات المتشابهات » ما نصه : « من المعلوم أن أفعال العباد لا بد فيها من توسط الجوارح مع أنها منسوبة إليه تعالى وبذلك يعلم أن لصفاته تعالى فى تجلياتها مظهرين : مظهر عبادى منسوب لعباده وهو الصور والجوارح الجسمانية . ومظهر حقيقى منسوب إليه . وقد أجرى عليه أسماء المظاهر العبادية المنسوبة لعباده على سبيل التقريب لأفهامهم والتأنيس لقلوبهم. ولقد نبه فى كتابه على القسمين ، وأنه منزه عن الجوارح فى الحالتين(٣).

٣ — ويعلق الدكتور الشيخ صبحى الصالح على ما ذكره ابن اللبان هذا بما نصه : « وكأنى بابن اللبان هنا يستشعر بذوقه الأدبى الرفيع ـ ما فى الكناية

---

(١) ص ٢٣ — ٣٥ تنقيح الأبحاث .

(٢) الزرقانى . مناهل ١٧٩/٢ نقلا عن ص ٢٨٤ من مباحث فى علوم القرآن

(٣) الزرقانى . مناهل ١٩٣/٢ ـ ١٩٤ نقلا عن ص ٢٨٦ من مباحث فى علوم القرآن .

عن الحقائق الدينية الكبرى من الحسن والجمال . فبهذا الاسلوب الرمزى ترتسم فى الخيال الإنسانى صورة حسية عن الفكرة المجردة وتقرب إلى الناس فى جميع الأجيال أسمى الحقائق بواسطة الخيال »(١) .

٤ — وقلنا فى كتابنا « أقانيم النصارى » ما نصه : « لماذا عبر الله فى التوراة عن نفسه بالأعضاء التى تشبه أعضاء الإنسان وبالصفات التى تشبه صفاته ؟

لأن الله أراد أن يخاطب الإنسان بصيغة يستطيع أن يفهمها ، وبصورة يستطيع أن يتصورها فتكلم عن نفسه . وكأنه فى صورة الإنسان ـ وما هو فى صورة الإنسان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ وكأن له أوصاف الإنسان وصفاته ، وكأن له مشاعر الإنسان وأفعاله . وذلك لأن الإنسان ولا سيما فى طوره البدائى . وفى عهد سذاجته الأولى . وفى كونه عاميا . ذلك الإنسان عاجز بعقله المحدود عن أن يدرك طبيعة الله الروحية الخالصة المجردة عن المادة المنزهة عن الشكل والصورة ، والمطلقة التى لا يحدها زمان ولا مكان فهو لا يستطيع أن يتصور الله إلا فى هيئة بشرية ذات شكل وصورة وذات حدود فى الزمان وفى المكان، كما أن لغة الإنسان التى يعبر بها عن أفكاره ومشاعره قاصرة عن أن تصور الله على حقيقته أو تعبر عن أوصافه وصفاته التعبير اللائق بجلاله وعظمته وهكذا فإن الله فى سبيل أن يهدى الإنسان إليه ليعبده تنازل فتكلم عن نفسه وهو السيد الخالق بالأسلوب الخليق بالعبد المخلوق »(٢) ا هـ .

---

(١) ص ٢٨٦ مباحث فى علوم القرآن .

(٢) ص ١٨ ـ ١٩ أقانيم النصارى ـ نشر دار الأنصار بمصر

بحث تمهيدى عن :

# ( عيسى ، ودعوته ، وكبار أتباعه )

---

قبل أن نتحدث عن « الله » ، وصفاته فى الأناجيل ، نتحدث بإيجاز عن :

١ — عيسى عليه السلام .

٢ - دعوته .

٣ — كبار أتباعه من سنة ٣٢٥ ميلادية إلى اليوم . مع ملاحظة أن إلزام النصارى بما نبين عن « الله وصفاته » لا يتم عليهم إلا بالأدلة التى نذكرها من :

( ا ) التوراة .

(ب) الأناجيل الأربعة ، وسفر أعمال الرسل ، ورسائل الحواريين ، وسفر رؤيا يوحنا اللاهوتى .

موسى النبي عليه السلام هو أول نبي ذى شريعة إلهية من بنى إسرائيل . إنه جاء إلى بنى إسرائيل بالتوارة موعظة وتفصيلا لكل شيء . وبين فيها الأدلة على وجود الله ووحدانيته ، وبين فيها القوانين والتشريعات التى تصلح أحوال الناس وتنظم لهم معايشهم .

وكل نبي من بعد موسى كان يأمر قومه باتباع توراة موسى ، والعمل بها . ما كان أى نبي من إسرائيل يزيد حكما أو ينقص حكما من توارة موسى .

والقد جاء داود عليه السلام بالزبور بعد موسى بما يقرب من ستة قرون . وما كان فى الزبور إلا أدعية لله وتسابيح وتنبؤات عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ، ما كان الزبور كتاب قوانين وتشريعات ، فإن كتاب القوانين والتشريعات هو كتاب موسى الذى يعبرون عنـــه بالناموس . وكان دواد ملتزما بهذا الناموس .

ولقد جاء المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بالأنجيل بعد موسى بما يقرب من خمسة عشر قرنا . وما كان الانجيل إلا أدعية لله وحكم وأمثال ، وإرشادات السلوك الحميد . وتنبؤات عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم (١). ما كان الإنجيل كتاب قوانين وتشريعات . فإن كتاب القوانين والتشريعات هو كتاب موسى الذى يعبرون عنه بالناموس ، وكان المسيح عيسى بن مريم ملتزما بهذا الناموس .

لقد كان عيسى كداود وسليمان وإلياس واليسع ويونس وغيرهم من أنبياء بنى إسرائيل ، لم يأت بجديد على التوارة ولم ينسخ من أحكامها حكما .

---

(١) اقرأ كتابنا : نبوءات عن محمد فى الكتاب المقدس ــ نشر دار الفكر العربى بمصر ، وانظر تقديمنا لكتاب « إظهار الحق » تأليف الشيخ رحمت الله بن خليل العثمانى الهندى ــ نشر دار التراث بمصر .

كان بنو إسرائيل زمن المسيح عيسى بن مريم خاضعين لدولة الروم . وكان الربيون والأحبار قد أشاعوا فى الناس كذبا أن النبى المنتظر سوف يأتى من بنى إسرائيل ، لا من بنى إسماعيل . فكانت دعوة المسيح تتخلص فى أنه مصدق لما بين يديه من التوراة غير مهمين ، وأنه جاء ليفسر نصوص نبوءات التوراة عن النبى المنتظر التفسير الصحيح لتنطبق نصوص نبوءات التوراة بوضوح على نبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم . وليفسر أيضاً نصوصاً فى التوراة اختلف الربيون والأحبار فى المعنى الصحيح لها .

وكان الربيون والأحبار قد ابتدعوا فى الدين ماليس من الدين ، قد تظاهروا باحترام الناموس والغيرة عليه ، وشددوا على الناس من تلقاء أنفسهم تشديدات لم تنص عليها التوراة ، كغسل الأيدى قبل الطعام ونحوه . فبين المسيح عليه السلام : أن هذه التشديدات ليس تحريمها من عند الله ، بل تحريمها من عند الربيين والأحبار ، ومن أجل ذلك أحل هذه التشديدات التى كانت محرمة من عند الربيين والأحبار . كما يقول تعالى عنه فى القرآن الكريم « ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » أى حرمه الربانيون والأحبار ، وليس حله مما حرمته التوراة فإنه كما قال تعالى عنه « ومصدقا لما بين يدى من التوارة » أى غير مغير من أحكامها حكما .

وهذه أدلة على ماذكرنا :

١ — المسيح مصدق لما بين يديه من التوراة ، غير مهمين :

(ا) « قال يسوع : أتظنون أنى جئت لأبطل الشريعة والأنبياء ؟ الحق أقول لكم : لعمر الله إنى لم آت لأبطلها . ولكن لأحفظهـــا » ( برنابا ٣٨ : ٢ — ٣ ) .

(ب) « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ماجئت لأنقض

بل لا كل فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد أو نقطة من الناموس حتى يكون الكل » ( متى ٥ : ١٧ — ١٨ )

## ٢ — المسيح مفسر التوراة :

فى مدينة بابل حرف الربيون والأحبار توراه موسى ، الأسفار الخمسة . ولم يحذفوا النصوص التى تدل على محمد صلى الله عليه وسلم . وإنما كتبوا النصوص بصيغة تحتمل معنيين فى نظر العوام : تحتمل الدلالة على نبى سوف يأتى من بنى إسرائيل ، أو تحتمل الدلالة على نبى سوف يأتى من بنى إسماعيل . ولما رجع بنو إسرائيل من بابل افترقوا إلى سامريين وعبرانيين . وقال السامريون : إن النبى المنتظر سوف يأتى من نسل يوسف عليه السلام . وقال العبرانيون إن النبى المنتظر سوف يأتى من نسل داود عليه السلام .

ولقب الجميع النبى المنتظر بلقب « المسيح » وهو لقب يطلقونه على النبى أو العالم أو الملك ليؤكدوا فى نفوس العوام كذبا أن النبى المنتظر سوف يأتى من بنى إسرائيل لا من بنى إسماعيل .

وظهر المسيح (١) ، عيسى بن مريم عليه السلام فى مملكة العبرانيين ، وهم يدعون أن النبى المنتظر سوف يكون من نسل داود عليه السلام . فقال لهم إن النبى المنتظر لن يكون من نسل داود . فسألوه عن الدليل على ذلك من التوراة . ففسر لهم آية من سفر الزبور ، ماكانوا يعرفون تفسيرها . ولما اقتنعوا بتفسيره « لم يجسر أحد أن يسأله بتة » .

هذه الآية نصها ، قال داود عليه السلام « قال الرب لربى : اجلس عن يمينى

---

(١) عيسى عليه السلام يطلق عليه لقب مسيح كما يطلق على أنبياء بنى إسرائيل وعلمائهم لكن ليس هو النبى المنتظر الذى لقبه بنو إسرائيل بلقب « المسيح » ليخفوا حقيقته عن الناس ، ليوهموهم أنه من بنى إسرائيل .

حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك » ( مزمور ١١٠ : ١ ) وفى ترجمة الآباء اليسوعيين : « قال الله لسيدى ... إلخ » والمعنى : قال الله لسيد داود عليه السلام إننى سأنصرك نصراً مؤزرا حتى تقف برجليك على رءوس أعدائك كناية عن هزيمتهم الساحقة .

قال المسيح : إن داود يقول عن النبى المنتظر . إنه سيده . وبناء على قوله لايكون النبى المنتظر من أبنائه . لأن الابن لايكون سيدا لأبيه . يقول متى على لسان المسيح عيسى بن مريم ، عليه السلام . « وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلا : ماذا تظنون فى المسيح ؟ — أى النبى المنتظر — ابن من هو ؟ — أى من نسل من سيكون ؟ — قالوا له : ابن داود — أى سيأتى من أولاد النبى داود — قال لهم : — أى المسيح عيسى — فكيف يدعوه داود بالروح — أى بظهر الغيب — ربا — أى سيدا — قائلا : قال الرب — يهوه — لربى — أدوناى — . إجلس عن يمينى — كناية عن أن الله سيقف بجواره ضد أعدائه — حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك فإن كان داود يدعوه ربا — أى سيدا — فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة . ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة » ( متى ٢٢ : ٤١ - ٤٦ ) .

٣ — المسيح يحل للناس بعض ما حرمه عليهم علماء بنى إسرائيل :

كان الربانيون والأحبار قد سنوا مبتدعات فى الدين وسموها « التقاليد » وكان من يفعل التقاليد من الناس يعتبر وجيها فى الدنيا ولو لم يفعل وصايا الله التى أنزلها فى التوراة . فقال المسيح للناس : إن وصايا الله أهم من التقاليد ، افعلوا الوصايا ولا تفعلوا التقاليد . ومن هذه التقاليد « القرابين » كان العلماء يقولون للناس قدموا القرابين تغفر لكم ذنوبكم فكان الأبناء لا ينفقون على آبائهم ، وإذا طالب الآباء الأبناء بنفقة لا يعطى الأبناء للآباء شيئا . لماذا ؟ لأنهم إذا قدموا القرابين ستغفر لهم ذنوبهم أنفقوا أم لم ينفقوا . فوبخ المسيح علماء بنى إسرائيل الكتبة والفريسيين على إهمالهم وصايا الله ، وعملهم بالتقاليد من أجل منافعهم الدنيوية . ولكى يكون هو قدوة فى ترك

التقاليد ، أكل هو وتلاميذه خبزا ولم يغسل يديه ، ولا هم غسلوا . فإن غسل الأيدى قبل تناول الطعام من التقاليد . فجاء إليه نفر من العلماء يعيبون عليه ترك غسل الأيدى قبل تناول الطعام . كما حكى متى :

« حينئذ جاء إلى يسوع كتبة وفريسيون الذين من أورشليم قائلين : لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ ، فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزا ؟

فأجاب وقال لهم : وأنتم أيضاً لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم ؟ فإن الله أوصى قائلا : أكرم أباك وأمك . ومن يشتم أباً أو أماً فليمت موتا . وأما أنتم فتقولون : من قال لأبيه أو أمه قربان هو الذى تنتفع به منى . فلا يكرم أباه أو أمه . فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم . يامراؤون حسناً تنبأ عنكم أشعياء[1] النبى قائلا : يقترب إلى هذا الشعب بفمه ، ويكرمنى بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عنى بعيدا ، وباطلا يعبدوننى ، وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس .

ثم دعا الجمع ، وقال لهم : اسمعوا ، وافهموا . ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان ، بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان . حينئذ تقدم تلاميذه ، وقالوا له : أتعلم أن الفريسيين لما سمعوا القول نفروا ؟ فأجاب وقال : كل غرس لم يغرسه أبى السماوى[2] يقلع . اتركوهم . هم عميان قادة عميان . وإن كان أعمى يقود أعمى ، يسقطان كلاهما فى حفرة » ( متى ١٥ : ١ - ١٤ ) .

---

(١) يشير المسيح الى قول أشعياء : « فقال السيد الرب : لأن هذا الشعب قد اقترب الى فمه ، وأكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فأبعده عنى ، وصارت مخافتهم منى ، وصية الناس معلمة » ( أش ٢٩ : ١٣ )

وفى سفر حزقيال آية مثل قول أشعياء هذا نصها : « ويأتون إليك كما يأتى الشعب ويجلسون أمامك كشعبى ، ويسمعون كلامك ، ولا يعملون به ، لأنهم بأفواههم يظهرون أشواقا ، وقلبهم ذاهب وراء كسبهم » ( حزقيال ٣٣ : ٣١ ) .

(٢) أبى السماوى : يعنى : الله تعالى على عادة بنى إسرائيل ، فإنهم يقولون على الله

## ٤ — المسيح بن مريم لا يصدر فتوى بغير دليل من التوراة:

مما رواه متى عن المسيح عليه السلام فى النص السابق : « حسناً تنبأ عنكم أشعياء النبي ... إلخ » .

يعنى أن المسيح لما ذم العلماء من بنى إسرائيل ، ذمهم بكلام صدر عن أشعياء النبي هو مذكور فى الإصحاح التاسع والعشرين من سفره : ومن ذلك تعلم أنه فى الذم لا يذم بغير دليل . فكيف فى العقائد والتشريعات ؟

* * *

إنه فى التشريعات أحال أتباعه إلى تشريعات التوراة ، لقد قال لهم بصريح العبارة : « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه ، فاحفظوه وافعلوه ، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون ، فإنهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ، ويضعونها على أكتاف الناس ، وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم » ( متى ٢٣ : ٢ - ٤ ) .

* * *

وإنه فى العقائد أحال أتباعه إلى نصوص التوراة عن وجود الله ووحدانيته. كان إذا سأله سائل عن الله أجاب بما فى التوراة عن الله ، ويذكر النص من التوراة ليقتنع به السائل .

* * *

( ا ) ففى الإصحاح الثانى عشر من إنجيل مرقس أن عالما سأل المسيح عن الوصية العظمى فى الناموس . فأجاب بقوله هى : أن الله واحد والدليل على ذلك قول الله لبنى إسرائيل فى شخص أبيهم فى التوراة « اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد » .

* * *

= تعالى إنه أبوهم ، أى ولى نعمهم ، كما قال تعالى « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » لقد كتبوا فى سفر أشعياء وكان هو فى القرن السادس قبل الميلاد تقريبا : « أنت يارب أبونا . ولينا . منذ الأبد : اسمك » ( أش ٦٣ : ١٦ ) .

(ب) وفى الإصحاح الرابع من إنجيل متى أن الشيطان ظهر لعيسى عليه السلام وخاطبه بقوله :

١ — « إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً » فما قال عيسى عليه السلام؟ أجاب وقال : « مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله » لقد أجاب عيسى بما أجاب به ، واستشهد على إجابته بنص فى التوراة لقد قال « مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان .. إلخ » يشير بكلمة « مكتوب » إلى الآية الثالثة من الإصحاح الثامن من سفر التثنية ونصها : « فأذلك وأجاعك وأطعمك المن ، الذى لم تكن تعرفه ، ولا عرفه آباؤك ، لكى يعلمك : أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان » .

٢ — « إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل ، فإنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك . فعلى أياديهم يحملونك . لكى لا تصدم بحجر رجلك » لقد استشهد الشيطان على حفظ الله لعيسى عليه السلام إن طرح نفسه على الأرض من سقف المشى الجنوبى لهيكل سليمان المشرف على وادى قدرون ، وكان علوه عن الوادى أكثر من ٢٥٠ قدماً ، استشهد بآيتين من التوراة نصهما : « لأنه يوصى ملائكته بك ، لكى يحفظوك فى كل طرقك ، على الأيدى يحملونك ، لئلا تصدم بحجر رجلك » ( مزمور ٩١ : ١١ - ١٢ ) فرد عيسى على الشيطان بقوله لقد أسأت أنت فى الاستشهاد فلست أنا ابن الله الذى تحدث عنه داود فى المزمور الثانى ، وإنه ليوجد فى التوراة آية تقول « لا تجرب الرب إلهك » هى الآية السادسة عشر من الإصحاح السادس من سفر التثنية ونصها : « لا تجربوا الرب إلهكم ، كما جربتموه فى مسة » .

٣ — ثم إن الشيطان أخذ عيسى إلى جبل عال جدا ، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها . وقال له : أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى ، فماذا قال عيسى عليه السلام؟ يقول متى فى إنجيله إن عيسى قال للشيطان : « اذهب ياشيطان

لأنه مكتوب للرب إلهك ، تسجد ، وإياه وحده تعبد » لقد استدل عيسى عليه السلام بأن السجود لله وحده بالمكتوب فى التوراة ومن هـذا الذى هو مكتوب .

( ا ) الآية الثالثة عشر من الاصحاح السادس من سفر التثنية ونصها : « الرب إلهك تتقى ، وإياه تعبد وباسمه تحلف » .

(ب) الآية العشرون من الاصحاح العاشر من سفر التثنية ونصها : « الرب إلهك تتقى ، إياه تعبد ، وبه تلتصق ، وباسمه تحلف » .

(ت) الآية الرابعة عشر من الاصحاح الرابع والعشرين من سفر يشوع ، ونصها : « فالآن اخشوا الرب واعبدوه بكمال ، وأمانة ، وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم فى عبر النهر ، وفى مصر ، واعبدوا الرب » .

( ث ) الآية الثالثة من الإصحاح السابع من سفر صموئيل الأول ، ونصها : « وكلم صموئيل كل بيت إسرائيل قائلا : إن كنتم بكل قلوبكم راجعين إلى الرب فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروث ، من وسطكم وأعدوا قلوبكم للرب ، واعبدوه وحده ، فينقذكم من يد الفلسطينيين » .

• • •

(ث) وفى إنجيل برنابا قال عيسى عليه السلام « إن الله لا يرى ، وأنه محجوب من عقل الإنسان ، لأنه غير متجسد ، وغير مركب ، وغير متغير » واستدل على قوله هذا بآيات من التوراة سأذكر نص الحديث الذى أورده برنابا عن عيسى عليه السلام ، وسوف أذكر فى الهامش نصوص آيات التوراة التى استدل بها عيسى على أقواله . لتعلم أنه ما قرر فى العقيدة إلا ما قرره موسى عليه السلام والنبيون من بعده ولتعلم أن برنابا لم يكذب على عيسى فيما نقله عنه لأن نصوص التوراة التى استدل بها موجودة حتى الآن فى التوراة السامرية والعبرانية واليونانية ولتعلم أيضاً أن ما فعله متى فى إنجيله ، هو ما فعله برنابا فى إنجيله . لقد كان

حتى يذكر أقوال عيسى عليه السلام ويذكر الأدلة التى اعتمد عليها لتأكيد كلامه من التوراة كما رأيت فى حواره مع الشيطان . وكان برنابا يذكر أقوال عيسى عليه السلام ويذكر الأدلة التى اعتمد عليها لتأكيد كلامه من التوراة كما سترى فى حواره مع رئيس كهنة اليهود العبرانيين وحاكمى أورشليم من قبل الدولة الرومانية .

نص الحديث :

« وحدث فى هذا الزمن اضطراب عظيم فى اليهودية[١] كلها ، لأجل يسوع لأن الجنود الرومانية أثارت بعمل الشيطان العبرانيين قائلين : إن يسوع هو الله قد جاء ليفتقدهم . فحدثت بسبب ذلك فتنة كبرى حتى أن اليهودية كلها تدججت بالسلاح مدة الأربعين[٢] يوما ، فقام الابن على الأب ، والأخ على الأخ ، لأن فريقا قال : إن يسوع هو الله قد جاء إلى العالم . وقال فريق آخر : كلا بل هو ابن الله . وقال آخرون : كلا لأنه ليس لله شبه بشرى . ولذلك لا يلد ، بل إن يسوع الناصرى نبى الله .

وقد نشأ هذا عن الآيات العظيمة التى[٣] فعلها يسوع . فترتب على رئيس الكهنة تسكينا للشعب : أن يركب فى مركب لابسا ثيابه الكهنوتية ، واسم الله القدوس التتغراماتن على جبهته ، وركب كذلك الحاكم بيلاطس وهيرودس .

---

(١) اليهودية هى : بلاد اليهود العبرانيين ، وعاصمتهم كانت مدينة أورشليم ( القدس ) وأول من أطلق على بنى إسرائيل اسم اليهود ، وسمى بلادهم اليهودية أهل فارس بعد الرجوع من سبى بابل ، ومن قبل كانوا يعرفون ببنى إسرائيل . وسمى النصارى نصارى من الكلمة العبرانية « هانصرى » وهى كلمة تعيير واستهزاء وتحقير أطلقها اليهود على عيسى وأتباعه فقبلوها وتفاخروا بحملها ( انظر أول الفصل الثانى من كتابنا : لا نسخ فى القرآن — نشر دار الفكر العربى بمصر )

(٢) أيام الصوم .

(٣) أى أن السبب فى قولهم إن يسوع هو الله أو ابن الله : المعجزات التى فعلها المسيح مثل إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص .

فاجتمع فى مزبه على أثر ذلك ثلاثة جيوش كل منها مئتا ألف رجل متقلدى السيوف ، فكلمهم هيرودوس ؟ أما هم فلم يسكنوا ثم تكلم الحاكم ، ورئيس الكهنة قائلين . أيها الأخوة : إن هذه الفتنة إنما قد أثارها عمل الشيطان ، لأن يسوع حى وإليه يجب أن نذهب ونسأله أن يقدم شهادة عن نفسه وأن نؤمن به بحسب كلمته . فسكن لهذا ثائرهم كلهم ، ونزعوا سلاحهم ، وتعانقوا قائلا بعضهم لبعض اغفر لى أيها الأخ . فعقد فى ذلك اليوم كل واحد النية : أن يؤمن بيسوع بحسب ما سيقول . وقدم الحاكم ، ورئيس الكهنة جوائز كبرى ، لمن يأتى ويخبرهم : أين يسوع ؟

فى هذا الزمن ، ذهبنا ويسوع إلى جبل سينا عملا بكلمة الملاك الطاهر ، وحفظ هناك يسوع الاربعين[1] مع تلاميذه ، فلما انقضت اقترب يسوع من نهر الاردن ليذهب إلى أورشليم فرآه أحد الذين يؤمنون بأن يسوع هو الله ، فصرخ من ثم بأعظم سروره : إن إلهنا آت يا أورشليم ، تهيأى لقبوله : وشهد أنه رأى يسوع على مقربة من الاردن .

فخرج من المدينة كل أحد ، الصغير والكبير ليروا يسوع . حتى أصبحت المدينة خالية . لأن النساء حملن أطفالهن على أذرعهن ، ونسين أن يأخذن معهن زادا للأكل . فلما علم بهذا الحاكم ورئيس الكهنة خرجا راكبين وأرسلا رسولا إلى هيرودس ، فخرج هو أيضاً راكبا ليرى يسوع تسكينا لفتنة الشعب . فنشدوه يومين فى البرية على مقربة من الاردن ، وفى اليوم الثالث وجدوه وقت الظهيرة إذ كان يتطهر هو وتلاميذه للصلاة حسب كتاب موسى[2] .

فاندهل يسوع لما رأى الجم الغفير الذى غطى الارض بالقوم ، وقال لتلاميذه : لعل الشيطان أحدث فتنة فى اليهودية . لينزع الله من الشيطان السيطرة التى له على الخطاة . ولما قال هذا اقترب الجمهور ، فلما عرفوه أخذوا يصرخون :

---

(١) أيام الصيام .

(٢) أيد قول برنابا وأكده كتاب « أقوال المسيح غير المدونة فى الأناجيل » .

مرحباً بك يا إلهنا ، وأخذوا يسجدون له كما يسجدون لله . فتنفس يسوع الصعداء ، وقال : انصرفوا عنى أيها المجانين لأنى أخشى أن تفتح الأرض فاها ، وتبتلعنى وإياكم لكلامكم الممقوت . لذلك ارتاع الشعب ، وطفقوا يبكون .

حينئذ رفع يسوع يده إيماء للصمت . وقال : إنكم لقد ضللتم ضلالا عظيما أيها الإسرائيليون لأنكم دعوتمونى إلهكم ، وأنا إنسان . وإنى أخشى لهذا أن ينزل الله بالمدينة المقدسة وباء شديداً مسلماً إياها لاستعباد الغرباء . لعن الشيطان الذى أغراكم بهذا ألف لعنة . ولما قال يسوع هذا صفع وجهه بكلتا كفيه ، فحدث على أثر ذلك نحيب شديد حتى لم يسمع أحد ما قال يسوع . فرفع من ثم يده مرة أخرى إيماء للصمت ، ولما هدأ نحيب القوم تكلم مرة أخرى :

أشهد أمام السماء ، وأشهد كل شيء على الأرض أنى برىء من كل ما قد قلتم ، لأنى إنسان مولود من امرأة فانية بشرية وعرضة لحكم الله ، مكابد شقاء الأكل والمنام وشقاء البرد والحر كسائر البشر ، لذلك متى جاء الله ليدين يكون كلامى كحسام يخترق كل من يؤمن بأنى أعظم من إنسان .

ولما قال يسوع هذا رأى كوكبة من الفرسان فعلم من ثم أن الوالى مع هيرودس ، ورئيس الكهنة كانوا قادمين . فقال يسوع : لعلهم هم قد صاروا مجانين أيضاً . فلما وصل الوالى مع هيرودس ، ورئيس الكهنة إلى هناك ترجلوا جميعاً وأحاطوا بيسوع ، حتى أن الجنود لم يتمكنوا من دفع الجمهور الذين كانوا يودون أن يسمعوا يسوع يكلم الكاهن . فاقترب يسوع من الكاهن باحترام ولكن هذا كان يريد أن يسجد ليسوع ، فصرخ يسوع : حذار ما أنت فاعل يا كاهن الله الحى ، لا تخطىء إلى الله .

أجاب الكاهن : إن اليهودية اضطربت لآياتك وتعليمك حتى أنهم يجاهرون بأنك أنت الله ، فاضطررت بسبب الشعب إلى أن آتى إلى هنا مع الوالى الرومانى والملك هيرودس فنرجوك من كل قلبنا أن ترضى بإزالة الفتنة التى ثارت بسببك

لأن فريقاً يقول : إنك الله ، وآخر : إنك : ابن الله ، ويقول فريق : إنك نبي .

أجاب يسوع : وأنت يا رئيس كهنة الله . لماذا لم تخمد الفتنة ؟ هل جننت أنت أيضاً ؟ هل أمست النبوات ، وشريعة الله نسيا منسياً أيتها اليهودية الشقية التي ضللها الشيطان ؟

ولما قال يسوع هذا عاد ، فقال : إني أشهد أمام السماء ، وأشهد كل ما كان على الأرض : أني بريء من كل ما قال الناس عني من أني أعظم من بشر ، لأني بشر مولود من امرأة ، وعرضة لحكم الله . أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام لعمر الله الذي تقف نفسي بحضرته : إنك أيها الكاهن لقد أخطأت خطيئة عظيمة بالقول الذي قلته . ليلطف الله بهذه المدينة المقدسة ، حتى لا تحل بها نقمة عظيمة لهذه الخطيئة .

فقال حينئذ الكاهن . ليغفر لنا الله . أما أنت فصل لأجلنا . ثم قال الوالي وهيرودس : يا سيد ، إنه لمن المحال أن يفعل بشر ما أنت تفعله ، فلذلك لا نفقه ما تقول . أجاب يسوع : إن ما تقوله لصدق . إن الله يفعل صلاحاً بالإنسان كما أن الشيطان يفعل شراً . لأن الإنسان بمثابة حانوت من يدخله برضاه يشتغل ويبيع فيه . ولكن قل لي أيها الوالي ، وأنت أيها الملك . أنتما تقولان هذا ، لأنكما أجنبيان عن شريعتنا ، لأنكما لو قرأتما العهد وميثاق إلهنا[1] . لرأيتما

---

(١) يشير عيسى عليه السلام الى العهد الذي أخذه الله على بني اسرائيل زمن موسى ، هذا العهد المذكور في الإصحاح التاسع عشر وما بعده إلى الرابع والعشرين من سفر الخروج وفيه : « أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر ، من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي ، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ، ولا صورة ما ، مما في السماء ... الخ » وعن كيفية العهد تقول التوراة إن موسى بنى مكانا للعبادة ، وذبح ثيرانا قربانا لله . وأخذ نصف دم الثيران المذبوحة ورشه على مكان العبادة ونصف الدم وضعه في الطسوس ورش منه على بني إسرائيل » وقال هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال » ( خروج ٢٤ : ٨ ) .

أن موسى حول بعصاه البحر دماً ، والغبار براغيث ، والندى زوبعة ، والنور ظلاماً ، أرسل الضفادع والجرذان على مصر ، فغطت الأرض ، وقتل الأبكار وشق البحر وأغرق فيه فرعون(١) ، ولم أفعل شيئاً من هذه . وكل يعترف بأن موسى إنما هو الآن رجل ميت .

أوقف يشوع(٢) الشمس ، وشق الأردن(٣) ، وهما مما لم أفعله حتى الآن وكل يعترف بأن يشوع إنما هو الآن رجل ميت .

وأنزل إيليا النار من السماء(٤) عيانا ، وأنزل المطر(٥) وهما مما لم أفعله ، وكل يعترف بأن إيليا إنما هو بشر .

---

ويشير عيسى عليه السلام إلى الميثاق الذى واثق الله به ابراهيم وإسحق ويعقوب أن يورث نسلهم مشارق الأرض ومغاربها إذا عملوا بالفرائض والأحكام واتبعوا محمدا إذا جاء كما جاء فى الإصحاح السادس والعشرين من سفر اللاويين وفيه : « لاتصنعوا لكم أوثانا ، ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتا ، أو نصبا ، ولا تجعلوا فى أرضكم حجرا مصورا ، لتسجدوا له . لأنى أنا الرب إلهكم - إذا سلكتم فى فرائضى وحفظتم وصاياى وعملتم بها ، أعطى مطركم فى حينه ، وتعطى الأرض غلتها ، وتعطى أشجار الحقل أثمارها - اذكر ميثاق مع يعقوب ، واذكر أيضا ميثاق مع إسحق ، وميثاق مع ابراهيم وأذكر الأرض ... الخ »

(١) يشير عيسى عليه السلام إلى الآيات التسع لموسى فى أرض مصر . كما جاء فى سورة الإسراء من القرآن الكريم ، وكما جاء فى سفر الخروج ، ولاحظ أن التوراة ذكرت عشر آيات . وعيسى عليه السلام ذكر البعض ولم يذكر الكل . ويريد أن يقول إننى فعلت معجزات كما فعل موسى معجزات فلماذا لم تؤلهوا موسى . وألهتمونى ؟ إننى وموسى رجلان نفعل مانفعل بقوة من الله

(٢) يشير عيسى عليه السلام إلى الإصحاح العاشر من سفر يشوع الآيات ١٢-١٤

(٣) يشير عيسى عليه السلام إلى الإصحاح الثالث من سفر يشوع .

(٤) إيليا هو النبى إلياس عليه السلام ، ويشير المسيح إلى الإصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الأول الآية ٣٨ و ٣٩ .

(٥) يشير المسيح عليه السلام إلى الآية ٤١ من الإصحاح ١٨ من سفر الملوك الأول

كثيرون آخرون من الأنبياء والأطهار وأخلاء الله فعلوا بقوة الله أشياء لا تبلغ كنهها عقول الذين لا يعرفون إلهنا القدير الرحيم المبارك إلى الأبد .

* * *

وعليه فإن الوالى والكاهن والملك توسلوا إلى يسوع أن يرتقى مكاناً مرتفعاً ، ويكلم الشعب تسكيناً لهم . حينئذ ارتقى يسوع أحد الحجارة الاثنى عشر التى أمر يشوع الاثنى عشر سبطاً أن يأخذوها من وسط الأردن عندما عبر إسرائيل من هناك دون أن تبتل أحذيتهم(١) .

وقال بصوت عال : ليصعد كاهننا إلى محل مرتفع حيث يتمكن من تحقيق كلامى . فصعد من ثم الكاهن إلى هناك . فقال له يسوع بوضوح يتمكن كل واحد من سماعه : قد كتب فى عهد الله الحى(٢) ، وميثاقه أن ليس لإلهنا بداية ، ولا يكون له نهاية .

أجاب الكاهن : لقد كتب هكذا هناك . فقال يسوع : إنه كتب هناك : أن إلهنا قد برأ كل شىء بكلمته(٣) فقط . فأجاب الكاهن : إنه لكذلك . فقال يسوع : إنه مكتوب هناك أن الله لا يرى(٤) وأنه محجوب عن عقل الانسان ، لأنه غير متجسد ، وغير مركب ، وغير متغير . فقال الكاهن : إنه لكذلك حقاً .

---

(١) يشير المسيح عليه السلام إلى الاصحاح الرابع من سفر يشوع الآية الثامنة .

(٢) استشهد المسيح على أن ليس لله بداية ، ولا نهاية بالآية الثانية من الزبور التسعين ونصها : « من قبل أن تولد الجبال ، أو أبدأت الأرض والمسكونة ، منذ الأزل إلى الأبد أنت الله » ( مز ٩٠ : ٢ )

(٣) استشهد المسيح على أن الله قد خلق كل شىء بكلمة « كن » بالآية السادسة من الزبور الثالث والثلاثين ونصها : « بكلمة الرب صنعت السموات ، وبنسمة فيه ، كل جنودها » ( مز ٣٣ : ٦ )

(٤) استشهد المسيح على أن الله لا يراه أحد بالآية ١٥ من الإصحاح ٤٥ من أشعياء ونصها : « حقا أنت إله محتجب يا إله إسرائيل ، المخلص » ( أش ٤٥ : ١٥ )

فقال يسوع : إنه مكتوب هناك : كيف أن سماء السموات لا تسعه[1] لأن إلهنا غير محدود . فقال الكاهن : هكذا قال سليمان النبي يا يسوع . قال يسوع : إنه مكتوب هناك : أن ليس لله حاجة ، لأنه لا يأكل ولا ينام[2] ولا يعتريه نقص. قال الكاهن : إنه لكذلك . قال يسوع : إنه مكتوب هناك : أن إلهنا فى كل مكان ، وأن لا إله سواه ، الذى يضرب ويشفى ويفعل كل ما يريد[3] . قال الكاهن : هكذا كتب .

حينئذ رفع يسوع يديه ، وقال : أيها الرب إلهنا . هذا هو إيمانى الذى آتى به إلى دينونتك شاهدا على كل من يؤمن بخلاف ذلك . ثم التفت إلى الشعب وقال: توبوا لأنكم تعرفون خطيئتكم من كل ما قال الكاهن : إنه مكتوب فى سفر موسى عهد الله إلى الأبد . فإنى بشر منظور ، وكتلة من طين تمشى على الأرض، وفان كسائر البشر . وإنه كان لى بداية ، سيكون لى نهاية . وإنى لا أقدر أن ابتدع خلق ذبابة .

حينئذ رفع الشعب أصواتهم باكين . وقالوا : لقد أخطأنا إليك أيها الرب إلهنا ، فارحمنا لكيلا يدفعها الله فى غضبه لتدوسها الأمم ، فرفع يسوع يديه ، وصلى لأجل المدينة المقدسة ، ولأجل شعب الله ، وكل يصرخ : ليكن كذلك آمين » ( برنابا ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ ) .

* * *

---

(١) استشهد المسيح على أن الله لا يحده مكان بالآية السابعة والعشرين من الإصحاح الثامن من سفر الملوك الأول ونصها : « لأنه . هل يسكن الله حقا على الأرض ؟ هو ذا السموات ، وسماء السموات ، لا تسعك » ( امل ٨ : ٢٧ )

(٢) استشهد المسيح على أن الله لا ينام بالآية الرابعة من الزبور المائة والحادى والعشرين ونصها : « إنه لا ينعس ، ولا ينام ، حافظ اسرائيل » ( مز ١٢١ : ٤ )

(٣) استشهد المسيح على أن الله يفعل كل ما يريد بالآية التاسعة والثلاثين من الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية ونصها : « انظروا الآن . أنا ، أنا هو ، وليس إله معى ، أنا أميت وأحيي . سحقت وإنى أشفى ، وليس من يدى مخلص » ( تث ٣٢ : ٣٩ ) .

وبعد سنين من هذا الحوار الذى جرى بين المسيح عيسى عليه السلام ، وبين رئيس كهنة اليهود العبرانيين ، وهيرودس وبيلاطس ، أجرى جنود الرومان حواراً مع المسيح حول طبيعة الله . ولقد قص برنابا هذا الحوار هكذا .

« فلما جاء يسوع إلى أورشليم ، ودخل الهيكل يوم سبت ، اقترب الجنود ليجربوه ، ويأخذوه وقالوا : يا معلم أيجوز إصلاء الحرب ؟

أجاب يسوع : إن ديننا يخبرنا(١) أن حياتنا حرب هوان على الأرض .

قال الجنود : أفتريد إذاً أن نحولنا إلى دينك ، أو تريد أن نترك جم الآلهة. فإن لرومية وحدها ثمانية وعشرين ألف إله منظور ، وأن نتبع إلهك الأحد ولما كان لا يرى فهو لا يعلم : أين مقره . وقد لا يكون سوى باطل ؟

أجاب يسوع : لو كنت خلقتكم كما خلقكم إلهنا لحاولت تغييركم .

أجابوا : إذا كان لا يعلم أين إلهك فكيف خلقنا ؟ أرنا إلهك نكن يهوداً .

فقال حينئذ يسوع : لو كان لكم عيون لأريتكم إياه ، ولكن لما كنتم عميانا فلست بقادر على أن أريكم إياه .

أجاب الجنود : حقاً لابد أن يكون الإكرام الذى يقدمه لك الشعب قد سلبك عقلك . لأن لكل منا عينين فى رأسه ، وأنت تقول : إننا عميان .

أجاب يسوع : إن العيون الجسدية لا تبصر إلا الكثيف والخارجى فلا تقدرون من ثم . إلا على رؤية آلهتكم الخشبية والفضية والذهبية التى لا تقدر أن تفعل شيئاً . أما نحن أهل يهوذا فلنا عيون روحية هى خوف إلهنا ودينه ، ولذلك لا يمكن لنا رؤية إلهنا فى كل مكان ... إلخ » ( برنابا ١٥٢ : ١ - ١٥ ) .

٭ ٭ ٭

---

(١) يشير المسيح إلى قول أيوب عليه السلام « أليس جهاد للانسان على الأرض ؟ » ( أيوب ٧ : ١ ) .

لقد وضح مما تقدم أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كان فى بنى إسرائيل كعالم من علماء المسلمين ، يقول القول مدعماً بالتوراة كما يدعم العالم المسلم قوله بالقرآن الكريم . وآيات التوراة التى دعم بها أقواله ، ما تزال موجودة إلى اليوم فى التوراة المتداولة فى أيدى اليهود والنصارى فى الهياكل والكنائس .

## فهم النصارى لألوهية المسيح

فماذا يقول النصارى فى ما قدمنا ومثله ؟ يقولون إن المسيح هو الإله أو إله . وهو مكون من جسد يسمى الناسوت ، ومن روح تسمى اللاهوت . فأكله وشربه ونومه وآلامه وسروره وما أشبه ذلك كان بالناسوت . ولم يتأثر اللاهوت بشئ من ذلك كله وما شابهه من لوازم الجسد .

وماذا يقولون فى صفات الله تعالى التى تحدث عنها المسيح ، وبرهن على أحاديثه بآيات من التوراة وأسفار الأنبياء ؟ يقولون : إن الله تعالى متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص ، حسب تصورهم فى الله . والفرق بينهم وبين اليهود فى صفات الله : أن اليهود يذكرون الصفات بالإيجاب ، والنصارى يذكرون بعض الصفات بالسلب . يقول اليهود : الله ثابت ، ويقول النصارى : الله غير متغير . يقول اليهود : الله قوى ، ويقول النصارى : الله غير عاجز . وهكذا فى بقية البعض من الصفات .

يقول حبيب جرجس عميد الكلية الاكليريكية القبطية فى كتابه « خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأورثوذكسية » تحت عنوان « الله تعالى وصفاته » ما نصه : « الله تعالى روح بسيط ، غير محدود ، أزلى ، أبدى ، غير متغير ، قادر على كل شيء ، موجود فى كل مكان ، غير منظور ، خالق كل موجود ، وهو تعالى قدوس فى ذاته ، وصفاته عظيم فى جوده ، وحكمته ، وعدله ، ورحمته ، وطول أناته »(١) .

---

(١) ص ٦ ، خلاصة الأصول الإيمانية .

ويقول حبيب جرجس : فى توضيح عقيدة نصارى الأرثوذكس الذين يزعمون إن الله تعالى الذى تحدث عنه موسى فى التوراة قد دخل بطن مريم العذراء ، ثم خرج منها فى صورة إنسان هو يسوع ، ثم كبر ، ثم قتل وصلب ، ثم دفن فى القبر ، ثم نزل إلى الجحيم ومكث فى النار ثلاثة أيام ، ثم خرج من النار ، ودخل القبر ، ومن القبر صعد إلى السموات وأصبح فيها كما كان قبل تجسده .

يقول حبيب جرجس : «لا يوجد إلا إله واحد ، وهو الإله الحقيقى السامى فى جميع كمالاته العلية . إن فى اللاهوت الأقدس ثلاثة أقانيم ، الآب ، والابن ، والروح القدس . وهم وإن كانوا ثلاثة معان إلا أنهم إله واحد ، وجوهر واحد إذ لا انفصال بين الله وكلمته وروحه . وهـذا ما ندعوه سر التثليث والتوحيد(١) » .

ولماذا انقلب الله إلى إنسان ، هو المسيح ، وقتل وصلب ؟ يقول النصارى : لأن آدم أخطأ بالأكل من الشجرة التى نهاه الله أن يأكل منها وهو فى الجنة فأصبح بالأكل خاطئاً ، وأصبح بنو آدم مثل أبيهم خاطئين . وظل الخطأ ينتقل من أب إلى ابن حتى جاء الزمن الذى رأى الله فيه أن يكفر عن خطأ بنى آدم . فماذا فعل ؟ لم يجد الله وسيلة التـكفير خيرا من قتل نفسه هو . فتجسد فى بطن عذراء ، وخرج من بطنها إنسانا ليوبخ اليهود على سلوكهم فيثوروا عليه ويقتلوه وبعد قتله يذهب إلى الجحيم ليخرج آدم وبنيه إلى فردوس النعيم .

يقول حبيب جرجس : بعد ذكر ما قدمنا خلاصته : «وانفصلت نفسه الطاهرة عن جسده وأما اللاهوت فلم يفارق الناسوت لحظة واحدة ، وإنما نفسه ذهبت إلى الجحيم ، وكسرت أبوابه ، وأخرجت نفس آدم وحواء ، وجميع الأنفس المسجونة بطائلة الخطية الأصلية وماتوا على الرجاء وأصعدهم إلى فردوس النعيم»(٢) .

---

(١) ص ٩ خلاصة الأصول الإيمانية .

(٢) ص ٤٧ — ٤٨ خلاصة الأصول الإيمانية طبعة سنة ١٩٢٦ م

هذا عن الأرثوذكس ، وأما عن الكاثوليك . فإنهم لا يقولون بالتجسد كما يقول الأرثوذكس بل يقولون بالتعدد ، أى بثلاثة آلهة كل إله مستقل بنفسه عن الآخر . والإله الثانى فى نظرهم يسوع المسيح . ثم اختلفوا مع الأرثوذكس فى شأن يسوع المسيح الإله الثانى فبينما يقول الأرثوذكس : يسوع المسيح هو الله متجسدا ، له طبيعة واحدة ، ومشيئة واحدة ولا إله فهو يسوع. يقول الكاثوليك إن يسوع المسيح فيه طبيعة إلهية كاملة ، وطبيعة إنسانية كاملة ، ومشيئة إلهية كاملة ، ومشيئة إنسانية كاملة . ومع المسيح إلهان آخران .

يقول الأب يوسف لويس فى كتابه « شرح التعليم المسيحى لطلبة المدارس » ما نصه : « إن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية تعتقد : أن المسيح المتجسد ، له أقنوم واحد وهو الإلهى ، أقنوم الكلمة الأزلى أحد الأقانيم الثلاثة . وأن فى هذا الأقنوم الواحد طبيعتين ، إلهية وإنسانية ، وبالتالى مشيئتين : إلهية وإنسانية من غير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ، الواحدة تطابق الأخرى تمام المطابقة بحيث لا يوجد ولا يمكن أن يوجد تنافر بينهما »(١) .

ويقول الكاثوليك بخطأ آدم وبنيه وأن المسيح قتل وصلب وذهب إلى الجحيم ليخرجهم منها . يقول الأب يوسف لويس : « إن نفس يسوع المسيح هبطت بعد موته إلى الجحيم أى اليمبس لتخلص نفوس الأبرار الذين ماتوا قبل مجيئه ، ولتدخلها فى السماء بصحبته ولماذا لم تكن هذه النفوس فى السماء ؟ إن هذه النفوس لم تكن فى السماء ، لأن السماء كانت مغلقة فى وجه البشر من بعد خطيئة آدم ، فوجب أن يفتحها يسوع المسيح ، ويدخلها أول الجميع »(٢) .

ويقول الكاثوليك عن صفات الله مثل ما يقول الأرثوذكس فتحت عنوان « فى كمالات الله » يقول يوسف لويس : « ما هو الله ؟ الله روح محض سرمدى ، كلى الكمال . خالق السماء والأرض ، سيد ، ورب الكل . لماذا تقول : إن الله روح محض ؟ لأنه لا جسم له ، ولا يمكن أن يقع تحت الحواس . لماذا تقول :

(١) ص ٦١ ج ١ شرح التعليم المسيحى لطلبة المدارس طبعة سنة ١٩٥٩ م
(٢) ص ٨١ ج ١ شرح التعليم المسيحى .

إن الله سرمدى ؟ أقول : إن الله سرمدى لأنه كان دائماً ، ولا يكون له أبداً نهاية . ماذا تفهم بقولك : إن الله كلى الكمال ؟ بقولى : إن الله كلى الكمال أفهم أن الله حائز جميع الكمالات . وأن هذه الكمالات لا حد لها .

أين يوجد الله ؟ الله موجود فى السماء ، وعلى الأرض . وفى كل مكان . هل يرى الله كل شىء ؟ نعم الله يرى كل شىء ، يرى الماضى والحاضر والمستقبل حتى غوامض الأفكار وأخفاها .. إلخ »(١) .

* * *

بعد هذا الحديث الموجز عن « عيسى » ودعوته ، وكبار أتباعه ، كبار أتباعه من سنة ٣٢٥ ميلادية إلى اليوم . ننتقل إلى الحديث عن « الله » وصفاته فى الأنجيل » .

(١) ص ٢٢ ج ١ شرح التعليم المسيحى .

الفصل الثانى

## الله وصفاته فى الانجيل

لاحظ أولا : أننا لن نتحدث كثيراً فى « الله وصفاته فى الأناجيل » اكتفاء عما بيناه فى كتابنا « أقانيم النصارى » .

تمهيد :

### تعريف بالإنجيل

كان كل نبي من بعد موسى يصرح بالتزامه بناموس موسى (التوارة) لا يزيد عليه ولا ينقص منه ، ولا يغير فيه ولا يبدل منه . والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام وهو واحد من أنبياء بنى إسرائيل العظام لم يزد على ناموس موسى ولم ينقص منه ولم يغير فيه ولم يبدل منه آية بآية بل صرح بالتزامه بالناموس وصرح أيضاً بالتزامه بأسفار من سبقه من الانبياء .

ومعنى ذلك : أن المسيح ابن مريم لم تكن له شريعة منفصلة عن شريعة موسى ولم يأت بجديد على الناس فى العقيدة أو الشريعة . وكل ما أتى به يتلخص فى الآتى : —

١ — أنه دعا الناس للعمل بشريعة التوراة ، وأن يعتقدوا فى الإله الواحد الذى تحدثت عنه التوارة ·

٢ — كان بعض علماء بنى إسرائيل المتشددين والمغالين فى الدين قد حرموا على الناس من تلقاء أنفسهم بتفسيراتهم الخاطئة لنصوص التوارة بعض الأشياء التى لم يرد الله تحريمها ، ولم ينزل بها نصا فوضح المسيح المراد من النصوص الأصلية للتوراة وبين أن الذى حرمه بعض العلماء ما هو إلا من ابتداعهم وليس من وحى الله .

٣ - يوجد فى التوراة نبوءات عن نبى واحد مثل موسى عليه السلام يأتى إلى العالم بعد موسى بشريعة إلهية، وينسخ التوراة فوضح لهم أن النبوءات تشير إلى اسم محمد صلى الله عليه وسلم وأوصافه.

## الاناجيل الاربعة

ويقول النصارى إن المسيح قد نزل عليه انجيل ى بشارة بخبر سار من السماء. ويقولون لم يكن كتابا ككتاب موسى. بل كان الإنجيل على قلبه. وكان يخطب منه أمام اليهود ويعظ ويبشر. ولما رفع إلى السماء كتب بعض تلاميذه ماسمعوه من الوعظ والتبشير فى كتب سموها « الأناجيل » ويقول النصارى. أن الاناجيل كانت كثيرة جداً وفى مجمع من المجامع اكتفينا بأربعة أناجيل ورفضنا الباق، وهذه الاناجيل هى :

١ - انجيل متى.

٢ - انجيل مرقس.

٣ - انجيل لوقا.

٤ - إنجيل يوحنا.

ويقول النصارى أننا وجدنا كتب الأناجيل الاربعة والرسائل مجموعة فى كتاب واحد منذ القرن الرابع الميلادى (١).

## الكتاب المقدس

ومجموع كتب التوراة مع مجموع كتب الأناجيل مجلد فى مجلد واحد يسمى الكتاب المقدس أو البيبل وكتب التوراة تسمى العهد القديم وكتب الأناجيل والرسائل تسمى العهد الجديد.

---

(١) انظر فى هذا الموضوع : تفسير إنجيل متى للانبا اثناسيوس.

وهذا بيان بالرسائل : —

١ — أعمال الرسل . ٢ — الرسالة إلى أهل رومية

٣ — الرسالة الاولى إلى أهل كورنثوس

٤ — الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس

٥ — الرسالة إلى اهل غلاطية ٦ — الرسالة إلى أهل أفسس

٧ — الرسالة إلى أهل فيلبى ٨ — الرسالة إلى أهل كولوسى

٩ — الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكى

١٠ — الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكى

١١ — الرسالة الاولى إلى تيموثاوس

١٢ — الرسالة الثانية إلى تيموثاوس ١٣ — الرسالة إلى تيطس

١٤ — الرسالة إلى فليمون ١٥ — الرسالة إلى العبرانيين

١٦ — رسالة يعقوب ١٧ — رسالة بطرس الاولى

١٨ — رسالة بطرس الثانية ١٩ — رسالة يوحنا الاولى

٢٠ — رسالة يوحنا الثانية ٢١ — رسالة يوحنا الثالثة

٢٢ — رسالة يهوذا ٢٣ — رؤيا يوحنا .

* * *

بعد هذا التمهيد . ننتقل إلى نصوص الأناجيل المتداولة لنذكر منها آيات تدل على ذات الله وصفاته :

١ — المسيح عيسى لم ينسخ التوراة

كل ما جاء فى التوراة عن ذات الله وصفاته ملزم للنصارى تمام الالزام ، وحينما نقول « الله ذاته وصفاته » فى النصرانية . لا نعنى بذلك أن النصرانية الأصلية انفردت بجديد عما فى اليهودية عن ذات الله وصفاته وإنما نعنى أن عيسى عليه السلام قرر فى ذات الله وصفاته نفس ما قرره موسى عليه السلام والأنبياء

السابقون عليه والدليل على ذلك : أن المسيح ابن مريم وجه خطابا إلى الشعب اليهودى بين لهم فيه ما نصه : « لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس . أو الأنبياء أى أن كل ماقرره الناموس هو يقرره ، وكل ماقررته أسفار الأنبياء هو يقرره لم يأت للنقض وإنما للاصلاح كما يقول بعد ذلك مباشرة « ما جئت لأنقض بل لأكمل » ومعنى « أكمل » أى أصحح كما فى الأصل اليونانى لانجيل متى تدل الكلمة اليونانية المترجم عنها « لأكمل » على أن « يملأ كل ثغرة فى الناموس » كما قرر متى هنرى المفسر البروتستانتى فى الإصحاح الخامس من متى (١) .

ويؤيد هذا تصريح المسيح نفسه فى آخر خطبة له أمام الشعب الإسرائيلى إنه قال « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ماقالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه » [ متى ٢٣ : ٢-٣ ] لقد أوصاهم بالحفظ وبالفعل . ولو كان هو ناسخا للتوراة أو بانيا عليها لصرح بالجديد الذى يقرره وما كان يصرح بالحفظ وبالفعل .

وقال أيضاً : « أليس مكتوبا فى ناموسكم ؟ ولا يمكن أن ينقض المكتوب » ( يوحنا ١٠ : ٣٤ - ٣٥ ) .

وقال أيضاً : « فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم . افعلوا هذا أنتم أيضا بهم لأن هذا هو الناموس والأنبياء » ( متى ٧ : ١٢ )

### ٢ — المسيح عيسى يقول إن الله واحد كما فى التوراة

فى الإصحاح السادس من سفر التثنية مانصه : « اسمع يا إسرائيل . الرب إلهنا رب واحد فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك » ( تثنية ٦ : ٤ إلخ ) .

وفى إنجيل مرقس أن عالما من علماء بنى إسرائيل سأل المسيح عيسى عن

---

(١) الجزء الأول من تفسير متى — لمتى هنرى

الوصية الأولى فى التوراة ، وأن المسيح عيسى أجاب بقوله إن الوصية الأولى فى التوراة هى « اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد » وأن العالم لما سمع الإجابة من المسيح نطق قائلا : « جيدا يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه » وأن المسيح عيسى لما سمع نطق العالم الإسرائيلى قال له : « لست بعيدا عن ملكوت الله » .

ومعنى هذا أن المسيح قرر ما قررته التوراة فى ذات الله وصفاته وأن العالم الإسرائيلى زمن المسيح كان يعترف كآبائه وأجداده بوجود الله ووحدانيته .

يقول مرقس : « فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أية وصية هى أول الكل ؟ فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا هى : اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك . هذه هى الوصية الأولى . وثانية مثلها : هى تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين فقال له الكاتب : جيداً يا معلم بالحق قلت . لأنه الله واحد وليس آخر سواه ومحبته من كل القلب ، ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ومحبة القريب كالنفس هى أفضل من جميع المحرقات والذبائح . فلما رأى يسوع أنه أجاب بعقل قال له لست بعيـــداً عن ملكوت الله » ( مرقس ١٢ : ٢٨ — ٣٤ ) .

## المسيح عيسى يقول أن الله لا يرى كما فى التوراة

يروى يوحنا فى إنجيله أن المسيح عيسى خاطب اليهود بقوله « والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته ، وليست لكم كلمته ثابتة فيكم لأن الذى أرسله هو لستم أنتم تؤمنون به » ( يوحنا ٥ : ٢٧ — ٣٨ ) إنه صرح بقوله عن الله « لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته » وهذا يعنى أن الله لا يرى . وهذه الآية تدين نصارى الأرثوذكس أبلغ إدانة فإنهم يزعمون أن الله ظهر للناس فى جسد المسيح . وأن المسيح هو الله فى صورة بشرية

كيف يصح هذا والمسيح نفسه يقول « ولا أبصرتم هيئته » ؟ وهذا يعنى على أبسط الامور أن المسيح ليس هو الله نفسه .

ويؤكد هذا قول يوحنا « الله لم يره أحد قط » ( يوحنا ١ : ١٨ ) وقوله : « الله لم ينظره أحد قط » ( الرسالة الأولى ليوحنا ٤ : ١٢ ) وفى الرسالة الاولى من بولس إلى تيموثاوس عن الله تعالى « المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الارباب الذى وحده له عدم الموت ساكنا فى نور لا يدنى منه الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أحد أن يراه الذى له الكرامة والقدرة الأبدية » ( تيموثاوس الاولى ٦ : ١٥ — ١٦ ) .

* * *

وإلى هذا الحد نكتفى عن الله وصفاته فى الاناجيل لأن زيادة البيان يغنى عنها تصريح المسيح عليه السلام بالتزامه بكل ما جاء فى التوراة عن العقيـــدة والشريعة .

ويغنى عنها أيضاً تصريح علماء النصارى بمثل ما صرح به الربيون من اليهود عن ذات الله تعالى وصفاته ، لقد قال الربيون إن الله متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص وإن الله عبر عن نفسه بالألفاظ التى تقرب ذاته إلى عقول البشر . وقال اللاهوتيون مثل قولهم . ففى تفسير قول الله لموسى أنا « أهيه الذى أهيه » ( خروج ٣ : ١٤ ) يقولون « معناها أنه كائن بذاته ، الموجود الواجب الوجود وأنه الحى الحقيق ، ومصدر كل حقيقة ، وأن فيه الكفاية الذاتية ، والسرمدى الذى لا يتغير فى مواعيده ، وأنه كما هو الآن فهو كذلك إلى الابد ، وأنه يعمل كل شىء حسب رأى مشيئته »[1] ا . ه .

ويقولون فى معنى إن الله قسى قلب فرعون ، ومنعه عن الإيمان قسرا يقولون

---

(١) ج ١ ص ٢٢٠ تفسير الكتاب المقدس — جماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسيس دافدسن .

ليثبتوا أن الله عادل . ما نصه : « إن قساوة القلب بدأت فعلا من جانب فرعون نفسه ثم بعد ذلك نسب إلى الله . إنه « قسى قلبه » فالله لا يقسى قلب الإنسان ليثور ضده . ولكنه هكذا رسم الأمور حتى أن كل مرة يرفض فيها الإنسان مشيئة الله يصبح قلبه أقل تلبية لدعوة الله التالية ، وهكذا يصبح الضمير أقل حساسية ، ثم يتقسى القلب تبعاً لذلك فالإنسان هو الذى يقسى قلبه ، ولكن فى تعبير الكتاب كما يقول ( هيرتز Hertz ) توصف الحوادث التى هى نتيجة قانون الله فى الطبيعة سواء أكانت طبيعية أم أدبية على أنها عمل الله مباشرة ، وبالإضافة إلى هذه العبارة نلاحظ أن فرعون حالما قسى قلبه ضربه الله بقساوة قلبية لم يستطع منها التجديد للتوبة وذلك عقاب حق وإظهار لقوة الله فيه[(١)] » .

ويقولون فى معنى ما جاء فى التوراة عن أن الله يحزن ، ويندم وينسى ويمكر ويغضب ويفرح يقولون: ذلك تعبير من الله باللغة التى تقرب ذات الله من عقول البشر ففى تفسير « وحزن الرب » ( تكوين ٦ : ٦ ) .

يقولون : « إن هذا التعبير ( لحزن الرب ) هو مجرد تعبير بلغة البشر يبين أن موقف الله بالنسبة للإنسان المخطىء لا بد أن يختلف عن موقفه بالنسبة للإنسان المطيع » [(٢)] ا . هـ .

وقال اللاهوتيين كما قال الربيون إن الله لا يرى ففى تفسير الآية العشرين من الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر الخروج يقول الله لموسى « لا تقدر أن ترى وجهى . لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » .

يقول اللاهوتيون فى تفسيرها : « إن العين البشرية لا يمكنها أن تشاهد جوهر الله ، ولا يستطيع العقل الفانى أن يحتمل نور مجد الله المكشوف وأما عن قول إسرائيل « نظرت الله وجهاً لوجه » (تك ٣٢ : ٣٠) فهو تعبير مجازى فلقد رأى ملاك الرب ، ولم يشاهد وجه الآب المكشوف »[(٣)] ا هـ .

---

(١) ص ٢٢١ ج ١ المرجع السابق فى خروج ٤ : ٢١

(٢) ص ١٥٩ ج ١ المرجع السابق فى التكوين ٦ : ٦ .

(٣) الجزء الأول من تفسير الكتاب المقدس _ جماعة من اللاهوتيين .

وصاحب تاريخ الأقباط يقول : « نجد فى التوراة أن الله يفرح ويسر ويرضى وأنه يحزن ويأسف ويتضايق ويندم وأنه يغضب ويسخط ويغتاظ ، وأنه يضحك ويستهزىء ويخدع ويخاف فهذه كلها من صفات الإنسان الذى يعتوره النقص والقصور . ولا ريب أن الله منزه عنها لأنه كامل . وإنما أراد الله أن يخاطب الإنسان على قدر إدراكه ليدرك طبيعته وشريعته ، وفى حدود منطقه ليستوعب تعاليمه ووصاياه »[1] ا . هـ .

ثم يذكر أمثلة من التوراة على فرح الله وسروره ... إلخ ومنها « فحمى غضب الرب على إسرائيل » ( العدد ٣ : ١٣ ) ويبين المراد من الغضب وسائر الصفات بقوله : « بيد أنه مما يدل على أن هذه الأقوال أيضاً قصد بها الله مخاطبة الناس بما يفهمونه . أن الله يقول فى سفر أشعياء « لا أخاصم إلى الأبد ، ولا أغضب إلى الدهر » ( إش ٥٧ : ١٦ ) .

* * *

ومع قولهم هذا الذى يطابق قول الربيين . يقولون : ولما أراد الله أن يظهر للبشر بهيئة يستطيعون بها رؤياه ، ظهر لهم فى صورة رجل منهم هو يسوع المسيح ليحتملوا الرؤية ، وما لقولهم هذا من دليل كتابى فى التوراة ولا فى الإنجيل .

## الآب والأبناء فى التوراة والإنجيل

ولا بد من بيان معنى « الآب » الذى أطلقه الإسرائيليون لقبا على الله . ولا بد من توضيح معنى ( الأبناء ) لله كما يقول اليهود والنصارى لأن ( الآب والابن ) أمر مشترك فى العقيدة بين التوراة والإنجيل . وانتقل لفظ البنوة إلى أهل الإسلام .

لما حرف بنو إسرائيل التوراة كتبوا فيها أن الله أب لكل إسرائيلى . وأن كل إسرائيلى ابن الله . ليس على معنى الولادة الطبيعية . بل كما تقول « الفقراء عيال الله . والأغنياء وكلاء الله » على المعنى المجازى مثال ذلك :

١ — فى الإصحاح الرابع من سفر الخروج : « قال الرب لموسى تقول

(١) ص ٤٠٢ ج ٨ تاريخ الأقباط .

لفرعون هكذا يقول الرب : إسرائيل ابنى البكر فقلت لك أطلق ابنى ليعبدنى فأبيت أن تطلقه . ها أنا أقتل ابنك البكر » ( خروج ٤ : ٢١ — ٢٣ ) أى أن بنى إسرائيل جميعاً هم أولاد الله وأن جميع المصريين هم أولاد فرعون مجازاً .

٢ — فى الإصحاح الثالث والستين من سفر أشعياء يخاطب اليهود ربهم قائلين « فإنك أنت أبونا وأن لم يعرفنا إبراهيم ، وإن لم يدرنا إسرائيل أنت يارب أبونا » ( أشعياء ٦٣ : ١٦ ) .

٣ — ويقول موسى لليهود « أنتم أولاد الرب إلهكم » ( تثنية ١٤ : ١ ) .

٤ — والمسيح عليه السلام بصفته نبيا إسرائيليا يفهم لسان قومه ويعرف لغتهم وطريقة إقناعهم فخاطب الاسرائيليين بما تعودوا عليه فى اللغة والفكر فقال لتلاميذه : « فصلوا أنتم هكذا أبانا الذى فى السموات ... إلخ » ( متى ٦ : ٩ ) وقال يخاطب الله « أيها الآب[1] البار إن العالم لم يعرفك أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى » ( يوحنا ٧ : ٢٠ ) .

---

(١) الآب : بمد الهمزة تساوى الأب بهمزة غير ممدودة فى اللغة العربية . والآب = الله .

الفصل الثالث

## الله وصفاته في المجامع النصرانية

بعد رفع المسيح عيسى إلى السماء وقد بين عن الله وصفاته كما بين موسى والأنبياء تظاهر فريق من اليهود باعتناق مبادئه[1]. وحرفوا دعوته. حرفوا دعوته في كل ما جاء به. نادوا بإلغاء العمل بالتوراة مع أن المسيح لم ينسخ التوراة. ونادوا بمبادىء جديدة ما سنها المسيح ولم يأذن بها الله. إنه في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية جعلوا المسيح عيسى هو « الله وابن الله » وقالوا الله قديم وابنه قديم مثله. وفي مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية ألهوا الروح القدس لأول مرة. واعتبروه أقنوما قديما لله. وفي مجمع خليقدونية سنة ٤٥١ ميلادية قررت الكنائس الغربية أن الآلهة ثلاثة منفصلة ومتعددة وهي :

١ — الآب.

٢ — والابن.

٣ — والروح القدس.

وقررت الكنائس الشرقية أن الله واحد ولكن ظهر للناس في جسد المسيح وقبل ظهوره كان لقبه ( الآب ) وبعد تجسده صار لقبه ( الابن ) وبعد قتله وصلبه صار لقبه ( الروح القدس ) وسموا كل مرحلة لله ( أقنوما ) وسمى الغربيون كل إله مستقل ( أقنوما ) والأقنوم في الأصل كلمة سريانية تساوي شخص.

---

(١) لإيضاح معلومات في هذا الفصل : اقرأ كتابنا : أقانيم النصارى — اطلبه من ٨١ شارع البعثان بعابدين — مصر. دار الأنصار.

## أصل أقنوم الإبن

١ — نبه موسى النبي عليه السلام على مجيء نبي من آل إسماعيل هو محمد رسول الله ﷺ(١) .

٢ — وفى بابل غير اليهود التوراة عمدا برئاسة ( عزير ) لعنه الله ، وقالوا إن النبي المنتظر ليس من آل إسماعيل . بل من بنى إسرائيل .

٣ — ولكى يؤكد اليهود هذا الزعم لقبوا النبي المنتظر بالألقاب التى يلقبون بها علماءهم وملوكهم وأنبياءهم والخواص منهم والعوام .

٤ — ومن الألقاب التى أطلقوها على النبي المنتظر لقب ( ابن الله ) كما يقولون عن أنفسهم « نحن أبناء الله وأحباؤه » حسبما حكى عنهم القرآن .

٥ — وهذه نبوءة من سفر الزبور ( المزامير ) لداود عليه السلام تشير إلى النبي المنتظر محمد رسول الله ﷺ بلقب ( ابن الله ) كما كتبوا :

نص النبوءة :

يقول داود عليه السلام « لماذا ارتجت الامم ، وتفكر الشعوب فى الباطل . قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين : لنقطع قيودهما . ولنطرح عنا ربطهما .

الساكن فى السموات يضحك . الرب يستهزىء بهم . حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ، ويرجفهم بغيظه ، أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى .

إنى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك .

---

(١) انظر شرح الشيخ رحمت الله الهندى فى الجزء الثانى من إظهار الحق على نبوءات التوراة والإنجيل عن محمد . تحقيق د. أحمد حجازى السقا . مراجعة الأستاذ الدكتور الشيخ بركات عبد الفتاح دويدار ، عميد كلية الدعوة — جامعة الأزهر .

اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك . وأقاصى الأرض ملكا لك تحطمهم بقضيب من حديد . مثل إناء خزاف تكسرهم فالآن يا أيها الملوك تعقلوا تأدبوا يا قضاة الأرض . اعبدوا الرب بخوف ، واهتفوا برعدة قبلوا الإبن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق لأنه عن قليل يتقد غضبه . طوبى لجميع المتكلين عليه » ( المزمور الثانى )

وقد احتج عيسى عليه السلام بهذه النبوءة على اليهود ، مبينا أنها تشير إلى نبى من بعده ومن كلامه « الحق الحق أقول لكم : إن كل من يعمل الخطية هو عبد الخطية والعبد لا يبقى فى البيت إلى الأبد . أما الابن فيبقى إلى الأبد فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارا » ( يوحنا ٨ : ٣٥ — ٣٦ ) أى سيرفع النبى الآتى عن اليهود ذل الرومان لهم . وذل الأجانب إلى الأبد إذا آمنوا به .

وبعد رفع المسيح إلى السماء تظاهر فريق من اليهود باعتناق مبادئه وزعموا أن نبوءة الابن فى المزمور الثانى تنطبق على المسيح ولا نبى بعده إلى يوم القيامة وأول من جهر بالزعم هذا : بولس كما جاء فى الإصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل .

وفى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م صرحوا بأن المسيح إله والله إله . قالوا الله قديم وعيسى بن مريم قديم وأنه هو الابن المشار إليه فى المزمور الثانى وذلك لكى يشككوا الناس فى حقيقة النبى الآتى من آل إسماعيل .

وتزعم المنحرفين عن الحق ، أثناسيوس وتزعم المتمسكين بالحق آريوس . ومن الحوار الذى دار فى المجمع بين أثناسيوس وآريوس ما نصه :

( آريوس ) : إن سليمان الحكيم تكلم بلسان المسيح قائلا ، « خلقنى أول طرقه » .

( أثناسيوس ) : معنى خلقنى هنا ولدنى كما ينص على ذلك النص العبرانى كما جاء فى نفس الفصل قوله « منذ الأزل مسحت منذ البدء كنت معه قبل أن يخلق

الجبال وقبل أن يصنع الأرض لما ثبت السموات كنت هناك ، كما ورد فى داود النبى « أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك ومن البطن قبل كوكب الصبح ولدتك » .

(آريوس) : إن الابن قال : « أبى أعظم منى » فالابن إذن أصغر من الآب ولا يساويه فى الجوهر ... »[1] .

* * *

ويدلك أيضاً على أن أصل أقنوم الابن عند النصارى من المزمور الثانى قول القمص إبراهيم جبر ، تحت عنوان « مصدر الإعلان عن ابن الله » ما نصه : « لم يدع يسوع « ابن الله » ابتداعا من المسيحيين وإنما كان هذا إعلان الله إذ دعى من الرب نفسه ابن الله قبل تجسده . لقد قال داود عن الرب « قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك » ( مزمور ٢ : ٧ ) فمن هو الابن الذى قال له الرب « أنت ابنى » الابن الذى سيرث الامم ويمتلك أقاصى الأرض . ويجب له العبادة بالخوف والأدب والطاعة لئلا يتقد غضبه وأن من يرفض عبادته يكون مصيره الرفض والإبادة ؟ إنه ليس بشراً لأن الرب لا يتنازل عن أمجاده وحقوقه الإلهية لأى من البشر وهو القائل « أنا الرب هذا اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر» (أشعياء ٤٢ : ٧ ) وإنما هو ابن الله يسوع المسيح الإله المتجسد »[2] اهـ .

* * *

ومن فلاسفة المسلمين الذين ردوا هذا الأصل فى مفهوم النصارى الشيخ شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكى المعروف بالقرافى . قال ما نصه : « قال داود عليه السلام فى المزامير « أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك سلنى أعطيك الشعوب ميراثك وسلطانك إلى أقصى الأرض ترعاهم بقضيب من حديد ومثل آنية الفخار تسحقهم » ومحمد عليه السلام هو الذى ورث وبلغ سلطانه أقطار الأرض وحاط الأمم وسامهم بسيفه . ولم يتفق هذا لداود ، ولا لأحد من بعده فيكون هو المبشر به ، وسمى ابنا على العادة القديمة كما فى تسمية المطيع

---

(١) ص ١٠٥ ج ١ تاريخ الأقباط .

(٢) كتاب « ابن الله » ص ١٢ — ١٣ .

والنبي ابنا كما قال في التوراة في إسرائيل عليه السلام « ابني بكري[1] » ا . هـ .

## أصل أقنوم الروح القدس

من عادة بني إسرائيل ومنهم المسيح بن مريم أن ينسبوا إلى الله كل شيء يتعلق بطبيعة الله أو يكون في قدرته أو يوهب له أو منه ويصل إلى الناس بواسطة الأنبياء أو الشيء الذي يعبر عن أعلى الدرجات كما ذكر سبينوزا »[2] .

وعلى هذا المعنى نسب عيسى عليه السلام اسم أحمد نبي الإسلام إلى الله القدوس لأنه مرسل منه وليس نبيا كاذبا فقال لتلاميذه « إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر — وأما المعزي الروح القدس ... » ( يوحنا ١٤ : ١٥ إلخ ) « المعزي الروح القدس » في الأصل ( بيركليت الروح القدس ) أي أحمد المنسوب إلى الله القدوس الطاهر . ولقب (الروح القدس) لأحمد دلالة على أنه مرسل من الله وكذلك لقب « روح الحق » .

وللأسف الشديد غير النصارى بيركليت إلى المعزي والمعزي ترجمة كلمة ( باركليت ) العبرانية . وتعني النائب عن المسيح . والمسيح لم ينطق باركليت وإنما نطق بيركليت بكسر الباء ومعناها أحمد ﷺ[3] .

وفي مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية[4] قرر النصارى ألوهية ( بيركليت الروح القدس ) وذلك لكي يشككوا الناس في اسم نبي الإسلام ﷺ . ولكي يقولوا كذبا: لا نبي من بعد يسوع المسيح .

وبيركليت كلمة عبرانية تترجم في اليوناني بيركليتوس .

---

(١) البشارة رقم ٢٣ من كتاب « الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة » مطبوع على هامش الفارق بين المخلوق والخالق لباجه جه زاده — وانظر خروج ٤ : ٢٢ — ٢٣

(٢) ص ١٤٢ رسالة في اللاهوت والسياسة .

(٣) البشارة ١٨ من إظهار الحق ص ١٦٥ — ١٦٦ ج ٢ .

(٤) انظر ص ١٧٥ — ١٧٦ ج ١ تاريخ الأقباط .

وقد سأل الشيخ عبـــد الوهاب النجار المستشرق ( كارلو نلينو ) عن بيركليتوس فقال له : إن معناها ( الذى له حمد كثير )[١] .

ويقول الأنبا أثناسيوس : ( إن لفظ بارقليط إذا حرف نطقه قليلا يصير بيريكليمت . ومعناه الحمد أو الشكر ، وهو قريب من لفظ أحمد )[٢] . ويدلك على أن قول المسيح لتلاميذه « إن كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا ... » يشير إلى نبى الإسلام ﷺ وليس إلى الإله الثالث فى الثالوث المقدس كما يدعى النصارى من بعـــد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م الأوصاف الواردة فى النص . ومن هذه الأوصاف « يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم » — « وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون » — « يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضا » — « إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ... وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه . بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ... إلخ» .

ويقول الطبيب الفرنسى : موريس بوكاى « إن الفعلان اليونانيان : Akouo و Leleo يعنيان فعلين ماديين لا يمكن أن يصا إلا كائنا يتمتع بجهاز السمع وآخر الكلام . وبالتالى فتطبيق هذين الفعلين على الروح القدس ( الأقنوم الثالث ) أمر غير ممكن .

وعندما يقول المسيح حسب إنجيل يوحنا « سأصلى لله وسيرسل لكم paraclet آخر » فهو يريد بالفعل أن يقول : إنه سيرسل إلى البشر وسيطا آخر كما كان هو وسيطا لدى الله وفى صالح البشر فى أثناء حياته على الأرض . ذلك يقودنا بمنتهى الدقة إلى أن نرى فى الـ paraclet عند يوحنا كائنا بشريا مثل المسيح يتمتع بحاستى السمع والكلام وهما الحاستان اللتان يتضمنهما نص يوحنا بشكل قاطع . إذن

---

(١) ص ٣٩٨ قصص الأنبياء للنجار .

(٢) ص ١١٩ دراسات فى الكتاب المقدس ــ مطبعة العالم العربى سنة ١٩٧٥ تفسير إنجيل يوحنا .

فالمسيح يصرح بأن الله سيرسل فيما بعد كائناً بشرياً على هذه الأرض ليؤدى الدور الذى عرفه يوحنا . ولنقل باختصار : إنه دور نبى يسمع صوت الله ، ويكرر على مسامع البشر رسالته »(١) اهـ .

## صفات الله بحسب الأقانيم

كل ما جاء فى التوراة عن وحدانية الله يعترف به النصارى على اعتبار وحدة الجوهر . أى أن الأقانيم متحدة فى الجوهر وكل ما جاء فى التوراة عن صفات الله كما سبق أن بينا يعترف به النصارى على اعتبار اللاهوت أى الروح . وليس على اعتبار الناسوت . أى الجسد . فإن جسد المسيح مخلوق حادث أما لاهوته فقديم كما يقولون .

والجديد فى صفات الله حسب قرارات المجامع هو صفات الأقانيم وتفصيلها هكذا :

( أقانيم الأرثوذكس ) ( أقانيم التجسد ) :

يقول الأرثوذكس ( معظم الأقباط ) :

إن الله واحد . وقد نزل من السماء . وحل فى بطن مريم العذراء وخرج بعد تسعة أشهر طفلا هو يسوع المسيح ، ثم كبر . ولما بلغ الثالثة والثلاثين تقريباقتل ثم صعد إلى السماء كما كان . وقبل حلول الله فى البطن يسمى أقنوم الآب ، وبعد خروجه من البطن يسمى أقنوم الابن . وبعد قتله وصعوده يسمى أقنوم الروح القدس . فالأقانيم على مذهبهم مراحل لذات واحدة وتسمى أقانيم التجسد . ويستدلون على مذهبهم بقول بولس « الله ظهر فى الجسد » (الأولى إلى تيموثاوس ٢ : ١٦ ) .

أقانيم الكاثوليك ( أقانيم التعدد ) :

يقول الكاثوليك ( معظم الغرب ) :

---

(١) ص ١٢٨ ــ ١٢٩ دراسة الكتب المقدسة ــ موريس نشر دار المعارف بمصر

١ ــ الآلهة ثلاثة متعددون ومنفصلون ومتميزون :

(١) الآب (٢) الابن (٣) الروح القدس

ولكل إله عمل محدد فى الكون والأقانيم على مذهبهم ذوات متعددة وأشخاص مستقلة وتسمى أقانيم التعدد(١) .

* * *

يقول الأستاذ الدكتور الشيخ بركات عبد الفتاح دويدار عميد كلية الدعوة جامعة الأزهر فى كتابه « الحركة الفكرية ضد الإسلام ، أهدافها ومقاومتها » ما نصه : « فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ كان الوقت قد حان ليتناقش المسيحيون علنا حول المسيح بعد أن زالت موجة الخوف وأمنوا الفتنة واختلفت الآراء .

وكانت نتيجة المؤتمر : هو انتصار القول بتأليه المسيح والوقوف ضد القول بأنه رسول . وبعد تأليه المسيح بدأ البحث فى تأليه الروح القدس وتمت الموافقة على تأليه الروح القدس فى مجمع القسطنطينية الذى كان فى أول الأمر مجمعا محليا ثم تحول إلى مجمع مسكونى بعد موافقة بابا روما على ما قرر فيه وكان قد عقد سنة ٣٨١ لتكفير قوم أنكروا أن الروح القدس إله »(٢) ا . هـ .

---

(١) ص ٤٧٩ المجلد الثالث ــ حواشى على الكتاب المقدس للكاثوليك .

(٢) ٢١٨ ــ ٢١٩ الحركة الفكرية ضد الإسلام .

الفصل الرابع

# أقانيم الصفات الثلاثة

## الوجود والعلم والحياة

الوجود والعلم والحياة صفات ثلاثة لذات الله وحده .

الله ذات . وموصوف بالوجود والعلم والحياة كما بينا من قبل .

وبعد ظهور العقائد النصرانية المزورة فى وضعها الحالى ، من المجامع . ظهر خلاف حاد فى الله وهذه الصفات الثلاثة . وصورة هذا الخلاف باختصار هكذا:

أولا : عند الأرثوذكس .

١ — قالوا إن الله موجود . ولا انفصال بين ( الله — وصفة الوجود ) بل الله هو نفسه صفة الوجود . ويطلق عليه : أقنوم الوجود . أى أن اسم الله صار صفة الوجود .

٢ — وقالوا إن الله ظهر للناس فى صورة المسيح ، ولما أصبح فى هيئة بشرية فى نظر الناس بعد خروجه من بطن العذراء ، حتى أن كل من رآه يظنه ابنا للعذراء . قالوا : إن هذا الابن هو صفة العلم ويطلقون عليه : أقنوم العلم أو أقنوم الكلمة ( اللوجوس ) كلمة الله وفكره .

٣ — وقالوا إن الله بعد ما قتل وصلب ( والله فى نظرهم هو المسيح بن مريم وصعد إلى السماء يحيى ويميت ) قالوا : إنه فى هذه الحالة هو صفة الحياة ويطلقون عليه : أقنوم الحياة .

أى أن اسم الله تعالى عندهم ( يهوه ) صار صفة الوجود ، ثم ألحقوا بصفة الوجود: صفتى العلم والحياة . فصار الله هو المسيح بن مريم ، وهو نفسه الوجود وهو نفسه العلم وهو نفسه الحياة . فالأقانيم على مذهبهم صفات ثلاثة لذات واحدة . مع استبدال اسم الله ( يهوه ) بصفة الوجود ومذهبهم هذا هو الذى يقول الله فيه فى القرآن الكريم ( لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ) .

ثانياً : عند الكاثوليك .

١ — قالوا : إن الله موجود ، والوجود هو الله ، ولا انفصال بين الله وصفة الوجود . بل الله هو نفسه صفة الوجود ، ويطلقون عليه أقنوم الوجود . أى أن اسم الله صار صفة الوجود .

٢ — قالوا إن المسيح متميز ومنفصل عن الله الموجود ، أى إله قائم بنفسه ومستقل بذاته عن أقنوم الوجود ويطلقون عليه أقنوم العلم كلمة الله وفكره ( اللوجوس ) .

٣ — قالوا إن الروح القدس متميز ومنفصل عن أقنومى الوجود والعلم ، ويطلقون عليه أقنوم الحياة . فالأقانيم على مذهبهم ذوات متميزة . ومذهبهم هذا هو الذى يقول الله فيه فى القرآن الكريم ( لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) .

ولا تقولوا ثلاثة

ويقول الله لهم جميعاً ( ولا تقولوا ثلاثة ) أى لا يقول الأرثوذكس (معظم الأقباط ) : ثلاثة مراحل لذات واحدة كل مرحلة تسمى أقنوما . ولا يقول الكاثوليك والبروتستانت ( نصارى الغرب ) ثلاثة آلهة متميزون كل إله يسمى أقنوم بل يقولون كما قال موسى وعيسى ( الرب إلهنا رب واحد ) .

الفصل الخامس :

# الله وصفاته في القرآن

لا يوجد فى القرآن عن الله وصفاته غير ما هو مدون فى التوراة وفى الإنجيل عن الله وصفاته وذلك واضح من قول الله لمحمد عليه السلام « ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك » ( فصلت ٤٣ ) .

ومن قول الله للمسلمين « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن . إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » ( العنكبوت ٤٦ ) .

فقد قرر المشابهة فى ( الإله الواحد ) عند اليهود وعند النصارى وعند المسلمين على حد سواء فى قوله بصريح العبارة ( وإلهنا وإلهكم واحد ) وفى اعتقادى أنه بهذه الآية يلزم اليهود بما جاء فى سفر تثنية الاشتراع : « اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا رب واحد » ( تث ٦ : ٤ ) ويلزم النصارى بما جاء فى إنجيل مرقس . « فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون . فلما رأى أنه إجابهم حسنا سأله : أية وصية هى أول الكل ؟ فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا هى فاسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد » ( مر ١٢ : ٢٨ — ٢٩ ) لقد قرر المسيح بن مريم بقوله « الرب إلهنا رب واحد » نفس ما قرره موسى بن عمران .

وأنا أعنى بالمشابهة فى ( الإله الواحد ) ما هو مقرر رسميا الآن فى التوراة وفى الأناجيل الأربعة . ولا أعنى ما عناه المتطرفون من اليهود من تشبيه الله بشيخ كبير لأن هذا التشبيه ليست عنه نصوص فى كتاب موسى . التى هى مصدر العقيدة والشريعة لأهل الكتاب جميعاً ولا أعنى ما عناه النصارى فى قانون الإيمان وقد يفهم بعض العلماء أن (الإله الواحد) هو لليهود وحدهم كما يدعى اليهود الآن ومن أيام السبى البابلى سنة ٥٨٦ ق . م وسواء هو لليهود وحدهم كما يفهم

هذا البعض أو هو الناس جميعاً كما هو صريح الكتاب . فإنه « إله واحد » .

فلا يفهمون أنه لليهود وحدهم من مثل هذا النص : « وقال يعقوب يا إله أبي إبراهيم وإله أبي إسحق » ( تك ٣٢ : ٩ ) . ولكنهم لو علموا أن دعوة موسى كانت لجميع الأمم(١) لاعترفوا بأن « الإله الواحد » هو الذى ألزم به موسى الأمم . لأنه هو الذى خلق الأمم . ويدلك على أن دعوة موسى كانت لجميع الأمم ما جاء فى سفر طوبيا : « اعترفوا للرب يا بنى إسرائيل ، وسبحوه أمام جميع الأمم فإنه فرقكم بين الأمم الذين يجهلونه لكى تخبروا بمعجزاته وتعرفوهم أن لا إله قادراً على كل شىء سواه » ( طوبيا ١٣ : ٣ — ٤ ) .

وما جاء فى الإنجيل على لسان المسيح بن مريم : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون » ( متى ٢٣ : ١٥ ) :

* * *

ننتقل بعد ذلك إلى القرآن الكريم لننقل منه نصوصاً عن الله وصفاته يقرر القرآن :

١ — أن الله واحد لا شريك له .

٢ — وأنه لا يرى ولا يقدر أحد أن يراه .

٣ — وليس كمثله شىء .

٤ — ولا يحده مكان ولا زمان.

وهذه أدلة على ما ذكرنا :

---

(١) انظر تفسير الكشاف والبيضاوى والنسفى وتفسير الجواهر لطنطاوى جوهرى وتفسير فتح القدير للشوكانى فى أول سورة آل عمران من القرآن الكريم وانظر أعلام النبوة للماوردى وانظر الأسفار المقدسة للدكتور على عبد الواحد وافى وانظر كتابنا : (نبوءات عن محمد فى الكتاب المقدس) نشر دار الفكر العربى بمصر .

## ٤ — الله واحد فى القرآن

سورة الإخلاص : « قل هو الله أحد . الله الصمد لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد » .

## الله لا يرى ولا يقدر أحد أن يراه

قال موسى لله « أرنى أنظر إليك » فرد الله عليه بقوله « لن ترانى » وذلك لأن هيبة الله أكبر من أن يحتملها موسى . وقد بين الله لموسى أنه لن يستطيع الرؤية بدليل أنه فى حالة تجليه للجبل الذى هو أقوى من موسى لن يستطيع الجبل أن يصمد بدون حراك .

يقول الله تعالى لموسى : « انظر إلى الجبل ، فإن استقر مكانه فسوف ترانى . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا . وخر موسى صعقا » ( الأعراف ١٤٣ ) وهذا هو نفس المعنى الذى ذكرته التوراة ، قال موسى لله « أرنى مجدك » فقال الله له : « لا تقدر أن ترى وجهى . لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » ( خر ٣٣ : ١٨ — ٢٠ ) .

* * *

وهذا الذى قررناه هو ما قرره أهل الحق والعدل المشهورون بالمعتزلة . يقولون : إن الله لا يرى لأنه لو كان مرئياً لكان مقابلا للرائى بالضرورة فيكون فى جهة وحيز . ولأن امتناع الرؤية عن نبى يوجب امتناعها بالتالى على غير الأنبياء . ولأن الله نفسه يقول عن ذاته المقدسة « لا تدركه الأبصار » ويفسر المعتزلة قوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة » بمعنى وجوه منتظرة نعمة ربها . ويفسرون الحديث « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر » بمعنى سترون رحمة ربكم .

والمعتزلة لم يكونوا أول القائلين بنفى رؤية الله فى الدنيا والآخرة فقد سبقهم

بهذا القول وقرره ووضحه المسيح عيسى بن مريم عليه السلام . وذلك أن بعض الناس فى زمنه ظنوا أن الله نزل من السماء وتجسد فى شخصه كما هو اعتقاد أقباط مصر الأرثوذكس فى عصرنا هذا . فواجههم المسيح بنصوص من التوراة . وطلب من الكاهن الأعظم إذا استشهد بنص من التوراة غير موجود فيها أن أن يراجعه فيه .

وهذه هى النصوص :

١ ـ فى الآية الثانية من المزمور التسعين « من قبل أن تولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة منذ الأزل إلى الأبد أنت الله » .

٢ ـ الآية السادسة من المزمور الثالث والثلاثين « بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها » .

٣ ـ الآية الخامسة عشر من الإصحاح الخامس والأربعين من سفر أشعياء « حقاً أنت إله محتجب يا إله إسرائيل » .

٤ ـ الآية السابعة والعشرين من الإصحاح الثامن من سفر الملوك الأول « لأنه هل يسكن الله حقاً على الأرض ؟ هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك فكم بالأقل هذا البيت الذى بنيت » .

٥ ـ الآية التاسعة والثلاثون من الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية « انظروا الآن ، أنا أنا هو وليس إله معى أنا أميت وأحيي . سحقت وإنى أشفى وليس من يدى مخلص »(١) .

وعلم المعتزلة بالتوراة وبالإنجيل هو الذى جعلهم يقفون ضـــد زيادة الصفات . لأن القول بزيادة الصفات على الله تعالى كقول النصارى بأقانيم ثلاثة يقول النصارى بأن الله واحد ومع ذلك هو ثلاثة إقانيم .

---

(١) انظر برنابا ٩٢ ـ ٩٧ .

فيقول المعتزلة لهم : « لأن قولنا فى الشىء إنه واحد يقتضى أنه فى الوجه الذى صار واحداً لا يتجزأ ولا يتبعض .

وقولنا ثلاثة يقتضى أنه يتجزىء وإذا قلتم إنه واحد ثلاثة أقانيم كان فى التناقض بمنزلة أن يقال فى الشىء أنه موجود معدوم أو قديم محدث »[1] .

وليس نفيهم لزيادة الصفات كما يقول الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار لئلا تضعف حجتهم فى الدفاع عن الإسلام ضد النصارى فقد أرادوا لتقوية حجتهم قطع الطريق على الأعداء من أول الأمر[2] . بل لأن قولهم هو الذى أنزله الله فى البدء سواء ظهر النصارى أم لم يظهروا إن هذا الحق كان ثابتاً من قبل ظهور النصارى بأدلة من التوراة نفسها كما بينا من قبل .

### الله ليس كمثله شىء

يقول تعالى : « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » ( الشورى ١١ ) .

### الله لا يحده مكان ولا زمان

يقول تعالى : « وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون » ( الأنعام ٣ ) .

### ٢ - صفات الله فى القرآن الكريم

يقول القرآن الكريم إن الله تعالى :

١ - إله واحد .

٢ - وموجود فى كل الوجود .

---

(١) ص ٢٩٢ الأصول الخمسة - ولاحظ أن الكاثوليك ( الملكانية ) يقولون بالتعدد . وأن الأرثوذكس ( اليعاقبة ) يقولون بالتجسد .

(٢) ص ٢٥٣ الوحدانية مع دراسة فى الأديان والفرق.

٣ — وليس كمثله شيء ، وأنه تعالى متصف بكل كمال . ومنزه عن كل نقص ومن صفاته الحسنة أيضاً ما يلي :

٤ — الله كامل
٥ — الله عالم بكل شيء
٦ — الله قادر على كل شيء
٧ الله عظيم وقوي وجبار
٨ — الله قدوس
٩ — و ١٢ — الله بار وصالح وصادق وأمين ووفي ومحسن
١٣ — الله رؤوف رحيم
١٤ - الله جميل
١٥ — الله هو الخالق وحده للكون والبشر وهو إله الخليقة ومالكها والمتسلط عليها
١٦ — الله هو الحي الباقي
١٧ — الله هو الذي يعطي ويمنع
١٨ - الله هو الذي يبارك ويلعن
١٩ — الله يحفظ الإنسان ويحميه
٢٠ — الله هو القاضي ويقضي بالعدل
٢١ — الله حكيم
٢٢ — الله قديم
٢٣ — الله قائم بنفسه
٢٤ — الله مريد
٢٥ - الله حي
٢٦ — الله متكلم
٢٧ — الله سميع
٢٨ — الله بصير
٢٩ — الله رحيم وغفور
٣٠ — الله ذو هيبة ورهبة
٣١ — صفات الله ثابتة .

• • •

يقول الإمام الشهرستاني : « اعلم أن جماعة كبيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام والعزة والعظمة (١) .

(١) ص ١١٦ ج ١ الملل والنحل .

وقال الإمام الصابونى : « أصحاب الحديث يشهدون لله بالوحدانية والسمع والبصر والعلم والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة والفرح والضحك »(١) .

وهذه الصفات ثابتة بآيات كثيرة فى القرآن منها الآيات التالية :

١ — « فاطر السموات والأرض . جعل لكم من أنفسكم أزواجا . ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه . ليس كمثله شىء وهو السميع البصير . له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شىء عليم »(الشورى ١١ إلخ ) .

٢ — « الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب » .

٣ — « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز » .

٤ — « الله لا إله إلا هو . الحى القيوم . لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو الله العظيم » ( البقرة ٢٥٥ ) .

٥ — « هو الله الذى لا إله إلا هو . الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » (الحشر ٢٢ إلخ ) .

---

(١) عقيدة السلف لأبى عثمان الصابونى ضمن مجموعة ٨١٣ توحيد بدار الكتب — نقلا عن ص ٣٤٢ — ٣٤٣ ابن قيم الجوزية .

## ٣ — أسماء الله القرآن

ورد فى القرآن الكريم اسم ( الله ) علما على الذات الإلهية المقدسة . ثم وردت أسماء تحمل صفات لله تعالى منها : الرحمن - الرحيم - الملك - القدوس - السلام - المؤمن - المهيمن - العزيز - الجبار - المتكبر - الخالق - البارىء - المصور .

والله علم على الذات الإلهية . وبقية الأسماء الحسنى غير اسم الله تحمل صفة كاملة فى الله وحده وقد يوصف بنفس الصفة إنسان . ولكنها فى الإنسان غيرها فى الله .

فمثلا يقال : على رحيم ومحمد رحيم . ولكن إذا قيل (الرحيم) أصبحت صفة الرحمة مختصة بالله وكاملة فيه وعلماً عليه . كما يقال : موسى نبى ويحيى نبى وعيسى نبى فإذا قيل ( النبى ) بالألف واللام فهم الفاهمون أن المراد نبى الإسلام وحده .

### اسم الله فى بلاد العرب قبل الإسلام

الله ( الإله ) كان المعبود الرئيسى وإن لم يكن المعبود الأوحد لأهل مكة أما الاسم فقديم وقد ورد فى نقشين من نقوش عرب الجنوب أحدهما معينى عثر عليه عند العلا والآخر سبىء ولكنه يرد بكثرة على شكل(هله) فى النقوش اللحيانية التى ترجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد ولحيان التى يتضح أنها أدخلت عبادة الآله من الشام كانت أول مركز لعبادته فى العرب ويرد الاسم بنص هللاه ( Hallah ) فى نقش مسيحى يرجع إلى عصر ما قبل الإسلام عثر عليه فى أم الجمال بالشام ويرجع عهده إلى القرن السادس »[1] .

---

(١) ص ١٢٢ تاريخ العرب المجلد الأول ط ٣ سنة ١٩٥٢ طبعة دار العالم العربى بمصر وضعه بالإنجليزية فيليب خورى حتى — نقله إلى العربية محمد مبروك نافع .

## ٤ كيف أعلن الله عن نفسه للناس ؟

فى القرآن الكريم : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً . أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم »(الشورى ٥١). أى أن الله لا يرى . وجها لوجه ، وإذا أراد أن يكلم إنساناً فإنه يكلمه بواسطة الوحى ، أو من وراء حجاب ، أو بواسطة الأنبياء ، والرسل .

## ٥ — المحكم والمتشابه فى ذات الله وصفاته فى القرآن

اتفق المسلمون على أن الله واحد لا شريك له . وليس كمثله شيء . وأنه يتصف بكل كمال ويتنزه عن كل نقص .

ثم اختلفوا فيما ورد فى القرآن أو السنه مما يشعر بإثبات الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح فالسلف ـ كما هو مكتوب فى كتب علم التوحيد ـ يقولون : بالتفويض إذ ربما يؤولون النص فيقولون بمعنى قد لا يكون هو مراد الله تعالى .

والخلف يقولون : بالتأويل لوجوب تنزيه الله تعالى عن الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح .

فما يوهم الجهة قوله تعالى « يخافون ربهم من فوقهم » (النحل ٥٠) فالسلف وهم من كانوا قبل القرن الخامس الهجرى وقيل الثالث يقولون : فوقية لا نعلمها . والخلف يقولون : المراد بالفوقية : التعالى فى العظمة . فالمعنى يخافون أى الملائكة ربهم من أجل تعاليه فى العظمة أى ارتفاعه فيها . ومما يوهم الجسمية قوله تعالى « وجاء ربك » ( الفجر ٢٢ ) فالسلف يقولون : مجيء ونزول لا نعلمهما . والخلف يقولون : المراد : وجاء عذاب ربك أو أمر ربك الشامل للعذاب .

ومما يوهم الجوارح قوله تعالى « ويبقى وجه ربك » ( الرحمن ٢٧ ) فالسلف يقولون : لله وجه لا نعلمه . والخلف يقولون : المراد من الوجه الذات .

وقد جاء فى الأحاديث النبوية مثل ما جاء فى التوراة : عن صورة الله . حتى أنه ليخيل إلى أن الراوى نقل عن التوراة مباشرة .

روى أحمد والشيخان أن رجلا ضرب عبده فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « إن الله تعالى خلق آدم على صورته » .

وفى التوراة ما نصه : « فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه » ( تكوين ١ : ٢٧ ) .

فالسلف يقولون : صورة لا نعلمها . والخلف يقولون : المراد بالصورة الصفة من سمع وبصر وعلم وحياة فهو على صفة الإنسان فى الجملة وإن كانت صفته تعالى قديمة وصفة الإنسان حادثة[1] .

* * *

يقول الإمام الجليل العلامة أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى فى تفسير قوله تعالى « هو الذى أنزل عليك الكتاب ، منه آيات محكمات ، هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات » .

يقول : « محكمات » أى أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه « هن أم الكتاب » أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد إليها « متشابهات » أى مشتبهات محتملات . مثال ذلك «الرحمن على العرش استوى» فالاستواء يكون بمعنى الجلوس . وبمعنى القدرة والاستيلاء . ولا يجوز الأول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله « ليس كمثله شىء »[2] اهـ .

يريد أن يقول : إن الله تعالى ليس له مكان ولا زمان ، ولا يوصف بصفات الحوادث ولا مثيل له ولا شبيه بدليل قوله تعالى « ليس كمثله شىء » ، وهـــذا

---

(١) انظر : تحفة المريد على جوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم البيجورى ص ١٠٩-١١٢
(٢) تفسير النسفى فى آل عمران .

الدليل أصل الحديث فى ذات الله ، وهو دليل محكم لا يقبل التأويل . ويوجد فى القرآن أن الله استوى على العرش وظاهر هذا القول أن الله شبيه بالناس له جسم ، ويجلس على عرش كما يجلسون . ولما كان هذا الظاهر يتعارض مع المحكم وهو « ليس كمثله شيء » فإنه يحمل على معنى يليق بذات الله المقدسة يحمل على القدرة والاستيلاء والغلبة والقهر . وليس هذا مما لا تحتمله اللغة . بل اللغة تجيزه فإنه يقال الرئيس على عرش مصر ، وربما يكون نائما وقت القول . وإنما يقصدون من القول أن الرئيس قادر ومسئول على المصريين . وهكذا .

الفصل السادس

# فلسفة الصفات

قلنا : قد اتفق المسلمون على أن الله واحد لا شريك له وليس كمثله شيء وأنه يتصف بكل كمال ويتنزه عن كل نقص ثم اختلفوا فيما ورد في القرآن أو السنة مما يشعر بإثبات الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح فالسلف يقولون بالتفويض والخلف يقولون بالتأويل . وهنا نوضح هذا الاختلاف بإيجاز .

المسلمون تجاه الصفات على آراء ثلاثة :

الرأي الأول : رأى المجسمة، وخلاصته : «إن لله علماً كالعلوم وقدرة كالقدر وسمعا كالأسماع وبصرا كالأبصار وأن الله يرى مكيفاً محدوداً يوم القيامة وأنه سبحانه يجلس على العرش والعرش مكان له ويد الله المذكورة في القرآن يد جارحة ووجهه وجه صورة وأنه سبحانه وتعالى ينزل نزول حركة وانتقال من مكان إلى مكان واستواؤه سبحانه على العرش جلوس عليه وحلول فيه»(١) .

وفى كتاب «لباب العقول فى الرد على الفلاسفة فى علم الأصول» :

«وذهبت الغلاة من المجسمة إلى أن الإله ذو صورة مثل صورة الإنسان وحكى عن داود الخوارزمي أنه قال : اعفوني عن الفرج واللحية ، واسألوا عما وراء ذلك . وصرح أن معبوده جسم ولحم . وقال : إنه أجوف من أعلاه إلى

---

(١) تبيين كذب المفترى فيما نسب لأبى الحسن الأشعرى ص ١٤٨ و ١٤٩ لابن عساكر الدمشقى المتوفى سنة ٥٧١ هـ نقلا عن ص ٢٦٨ ابن تيمية للشيخ محمد أبوزهرة وانظر أيضا ص ٢٥ من كتاب الإبانة عن أصول الديانة لأبى الحسن الأشعرى تقديم الدكتورة فوقية حسين محمود وانظر كتاب الدكتورة سهير مختار عن الكرامية ــ القاهرة ١٩٧٣م

صدره . مصمتا . ماسوى ذلك . وأن له وفرة سوداء»(١) ومثل هذا القول أيضاً في « الملل والنحل » للامام الشهرستانى .

الرأى الثانى : رأى المعتزلة وهو رأينا . وخلاصته : « إن الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذى لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ولا بذى حرارة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض. وليس بذى أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء وليس بذى جهات ولا بذى يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت ولا يحيط به مكان ولا يجرى عليه زمان ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول فى الأماكن ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم ولا يوصف بأنه متناه ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب فى الجهات وليس بمحدود ولا والد ولا مولود ولا تحيط به الأقدار ولا تحجبه الأستار ولا تدركه الحواس ولا يقاس بالناس ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ولا تجرى عليه الآفات ولا تحل به العاهات وكل ما خطر بالبال وتصور بالوهم فغير مشبه له . لم يزل أولا سابقا للمحدثات موجوداً قبل المخلوقات ولم يزل عالماً قادراً حياً ولا يزال كذلك لا تراه العيون ولا تدركه الأبصار ولا تحيط به الأوهام ولا يسمع بالأسماع . شيء لا كالأشياء ، عالم قادر حى لا كالعلماء القادرين الأحياء وإنه القديم وحده ولا قديم غيره ولا إله سواه ولا شريك له فى ملكه ولا وزير له فى سلطانه ولا معين على إنشاء ما أنشأ وخلق ما خلق . لم يخلق الخلق على مثال سبق وليس خلق شيء بأهون عليه من خلق شيء آخر ولا بأصعب عليه منه ولا يجوز عليه اجترار

---

(١) ص ١٧٤ لباب العقول ـ أبى الحجاج يوسف بن محمد المكلاتى المتوفى ٦٢٦ هـ ١٢٢٧ م تحقيق دكتورة فوقية حسين محمود طبعة سنة ١٩٧٧ بمصر مطبعة دار نشر الثقافة .

وانظر ايضا ص ١٠٦ ج ١ من كتاب مقالات الإسلاميين واختلافات المصلين للأشعرى تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

المنافع ولا تلحقه المضار ولا يناله السرور واللذات ولا يصل إليه الأذى والآلام ليس بذى غاية فيتناهى ، ولا يجوز عليه الفناء ولا يلحقه العجز والنقص تقدس عن ملامسة النساء وعن اتخاذ الصاحبة والأبناء »[1] ا هـ ،

الرأى الثالث — رأى المجسمين بلا كيف :

وهو رأى الإمام ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم الخضر النميرى الحرانى الدمشقى ( ٦٦١ — ٧٢٨ هـ — ١٢٦٣ — ١٣٢٨ م ) وبعض العلماء .

وخلاصته : أن الله واحد ، متصف بما وصف به نفسه فى القرآن وبما وصفه به رسوله فى الأحاديث الصحيحة . من يد وعين وأذن وغير ذلك ، لكن بدون تمثيل .

يقول ابن تيمية فى ( الرسالة المدنية فى تحقيق المجاز والحقيقة فى صفات الله تعالى ) ما نصه : ( مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف : أن هذه الأحاديث تمر كما جاءت ، ويؤمن بها وتصدق وتصان عن تأويل يفضى إلى تعطيل ، وتكييف يفضى إلى تمثيل . وقد أطلق غير واحد ممن حكى إجماع السلف . منهم الخطابى مذهب السلف : أنها تجرى على ظاهرها مع نفى الكيفية والتشبيه عنها . وذلك أن الكلام فى الصفات فرع على الكلام فى الذات ، يحتذى حذوه ، ويتبع فيه مثاله . فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية . فنقول : إن له يداً وسمعاً . ولا نقول إن معنى اليد : القدرة ، ومعنى السمع : العلم[2] » ا هـ .

---

(١) مقالات الإسلاميين — لأبى الحسن الأشعرى — ص ٢٣٥ — ٢٣٦ ج ١ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .

(٢) الرسالة المدنية ص ٧ و ٨ طبعة السلفية بمصر سنة ١٣٩٤ هـ .

ويقرر ابن تيمية جريان السمع على معرفة من هو الله ؟ وليس ما هو ؟ يقرر أن القول فى الصفات تابع للقول فى الذات .

فيقول : إذا كانت معرفة الله على سبيل الكنه والحقيقة لا سبيل إليها فيجب أن تكون صفاته كذلك لأن القول فى الصفة كالقول فى الموصوف يحتذى فيه حذوه فإذا كانت ذاته لا علم لنا بحقيقتها فصفاته كذلك لا سبيل لنا إلى معرفتها على سبيل الكنه والحقيقة .

وقد جرى السمع - أى آيات القرآن والأحاديث الصحيحة - على إثبات وجود الصفة لا على إثبات كيفها .

فالقرآن جرى فى حديثه على وجود الله على أن المقصود إثبات وجوده تعالى لا إثبات كيفيته وإذا كانت كل صفة تتبع موصوفها فيكون الكلام فى الصفات مقصوداً به إثبات وجود الصفة وليس إثبات كيفها وهذا القول يجب طرده فى الحديث عن الصفات عموماً ولا فرق فى ذلك بين صفة وأخرى وإذا كانت ذاته لا تماثل الذوات فكذلك صفاته لا تماثل الصفات لأنه سبحانه لا تضرب له الأمثال بخلقه لا فى ذاته ولا فى صفاته(١) .

* * *

والشيخ الإمام ابن تيمية لا ينفرد بهذا الرأى بل سبقه به كثيرون من المتقدمين عليه فى الزمن منهم الأشعرى : أبو الحسن على بن إسماعيل بن أبى بشر إسحق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبى بردة بن موسى الأشعرى ( ٢٦٠ هـ = ٨٧٥ م — ٣٢٤ هـ = ٩٣٩ م ) يقول فى كتابه ( الإبانة عن أصول الديانة ) تحت عنوان ( الاستواء على العرش ) :

«إن قال : ما تقولون فى الاستواء ؟ قيل له : نقول : إن الله عز وجل يستوى

---

(١) مجموع الفتاوى ٥ - ٥٩ الرسالة التدمرية ٢٦ العقيدة الحموية ٤٧ نقلا عن الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل — الدكتور محمد السيد الجليند ص ٣٤٧ — ٣٤٩ .

على عرشه استواء يليق به من غير طول استقرار كما قال « الرحمن على العرش استوى » وقال تعالى « أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض ؟ » فالسموات فوقها العرش . فلما كان العرش فوق السموات قال « أأمنتم من فى السماء » لأنه مستو على العرش الذى فوق السموات . وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات ...

ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله تعالى مستو على العرش الذى هو فوق السموات فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض ...

وروت العلماء أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأمة سوداء فقال يارسول الله : إنى أريد أن أعتقها فى كفارة . فهل يجوز عتقها ؟ فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم ، أين الله ؟ قالت : فى السماء . قال : فمن أنا ؟ قالت : أنت رسول الله . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اعتقها فإنها مؤمنة[1] . وهذا يدل على أن الله تعالى على عرشه فوق السماء[2] » اهـ .

* * *

وقد تابع الشيخ الإمام ابن تيمية على رأيه كثيرون ممن أتوا من بعده منهم الشيخ الإمام ابن قيم الجوزية : أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد بن حريز الزرعى الدمشقى ( ٦٩١ — ٧٥١ هـ = ١٢٩٢ — ١٣٥٠م) كان يأخذ بالآيات كما وردت ويمنع تأويلها ويؤمن بها كما وردت ويكل معرفة حقيقتها إلى الله مشبها نفسه بالعوام ، وهو من الراسخين فى العلم .

يقول فى كتابه ( مدارج السالكين ) : « وقد ذكرنا فى كتاب ( الصواعق )

---

(١) أخرجه مسلم مساجد ٣٣ وأبو داود صلاة ١٦٧ إيمان ١٦ وأخرجه أيضا النسائى سهو ٢٠ والدارمى نذور ١٠ .مالك عتق ٨ و ٩ وابن حنبل ٢ : ٢٩١ .

(٢) الإبانة ص ١٠٥ — ١١٩ .

أن تأويل آيات الصفات وأخبارها بما يخرجها عن حقائقها هو أصل فساد الدنيا والدين . وزوال الممالك وتسليط أعداء الإسلام عليه إنما كانت بسبب التأويل بما يخرجها عن حقائقها فإنها وردت على وجه لا يحتمل معه التأويل بوجه فانظر إلى قوله تعالى « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك »(١) هل يحتمل هذا التقسيم والتوزيع تأويل إتيان الرب جل جلاله بإتيان ملائكته أو آياته . وهل يبقى مع هذا السياق شبهة أصلا أنه إتيانه بنفسه ؟

وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « إنكم ترون ربكم عيانا كما ترون القمر ليلة البدر في الصحو ليس دونه سحاب وكما ترون الشمس في الظهيرة صحواً ليس دونها سحاب » ومعلوم أن هذا البيان والكشف والاحتراز ينافي إرادة التأويل قطعاً ولا يرتاب في هذا من له عقل ودين »(٢) .

ويقول في مسألة الاستواء « فإذا ادعى تأويل ذلك مدع لم تقبل الدعوى بلا برهان »(٣) .

ويقول في ذم التأويل « وأصل بلية الإسلام من تأويل ذي التحريف والبطلان »(٤) .

---

(١) يقول الشيخ الإمام أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ( ٤٦٧ - ٥٣٨ هـ ) في تفسيره « الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل » في هذه الآية : « الملائكة » ملائكة الموت أو العذاب ( أو يأتي ربك ) أو يأتي كل آيات ربك بدليل قوله ( أو يأتي بعض آيات ربك ) يريد آيات القيامة والهلاك الكلي وبعض الآيات . أشراط الساعة » ( الأنعام ١٥٨ )

(٢) مدارج السالكين ٣ : ٢٢٦ - ٢٧٢ نقلا عن ص ٣٥١ - ٣٥٢ ابن قيم الجوزية للدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين .

(٣) الكافية الشافية ص ٥٨ عن المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق .

١ — تبرير رأى المجسمة :

وليس من شك فى أن القائلين بالجسمية المصرحين بها : يبررون وجهة نظرهم بظاهر آيات القرآن والأحاديث الصحيحة ففى القرآن أن الله لا يستحى وأن الله قد نسى بعض الناس لما نسوه إلى آخر مثل هذا الكلام الذى يثبت الجسمية على نحو جسمية الإنسان لله عز وجل . وأنه ثابت فى مكان واحـــد . ويعلم ما فى الكون كله بواسطة ملائكته أو أنه لكبره يستطيع معرفة كل شىء بنفسه . وليس من شك فى أنهم سيدافعون عن وجهة نظرهم أمام خصومهم بمثل ما قدمنا وسيقولون لخصومهم عن معنى قوله تعالى « ليس كمثله شىء » ليس كمثله شىء فى العظمة فإن الناس كلهم ضعفاء .

٢ — تبرير رأى الأشعرى والشيخ الإمام ابن تيمية — ( المجسمين بلا كيف ) :

( ا ) يقول الأشعرى : ( وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : إن معنى قول الله تعالى « الرحمن على العرش استوى » أنه استولى وملك وقهر ، وأن الله تعالى فى كل مكان وجحدوا أن يكون الله عز وجل مستو على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا فى الاستواء إلى القدرة .

ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة لأن الله تعالى قادر على كل شىء والأرض فالله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما فى العالم فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء وهو تعالى مستول على الأشياء كلها لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار لأنه قادر على الأشياء مستول عليها وإذا كان قادرا على الأشياء كلها لم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول : إن الله تعالى مستو على الحشوش والأخلية ( تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ) لم يجز أن يكون الاستواء على العرش . الاستيلاء الذى هو عام فى الأشياء كلها ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها .

وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله تعالى فى كل مكان فلزمهم أنه فى بطن مريم وفى الحشوش والأخلية . وهذا خلاف الدين تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً »(١) .

## هل رجع الأشعرى عن رأيه ؟

يقول الدكتور حمودة غرابه فى تقديمه لكتاب ( اللمع ) الأشعرى :

« والأشعرى فى ( كتاب اللمع ) لا يتعرض لذكر الوجه واليدين والاستواء على العرش كما فعل فى ( الإبانة ) بل يهمل ذلك إهمالا تاما . ويزيد على ذلك التصريح القاطع بتنزيه الله عن الجسمية ، ونفيه عن الله أن يكون مشابها للحوادث » .

* * *

ولبيان السبب فى عدم تعرض الأشعرى لذكر الوجه لله واليدين والاستواء على العرش فى ( كتابه اللمع ) لا بد من معرفه أى الكتابين كتب أخيراً ؟

وما هى الظروف التى صاحبت الكاتب وقت الكتابة ؟

يقول الدكتور حموده : ( إن الصورة العقلية التى يصورها ( اللمع ) قد صدرت أخيراً ، وأنها كانت تحديداً لمذهب الأشعرى فى وضعه النهائى الذى مات صاحبه عليه ، وهو يعتنقه ويعتقد صحته ويدافع عنه وير ... )

وهل يعنى هذا أن ما فى ( اللمع ) من التنزيه هو رأى الأشعرى الذى مات عليه ، أم أنه سكت عن ذكر الوجه لله ( بلا كيف ) فى ( اللمع ) اكتفاء بما بين فى ( الإبانة ) ؟

يقول الدكتور حموده : ( الواقع أنى لا أرى أى تناقض بين الصورة التى يحددها ( الإبانة ) وبين الصورة التى يحددها ( اللمع ) لأن مدح الإمام أحمد ، والرد على المعتزلة والحرورية والجهمية وإنكارهم الوجه واليدين والاستواء

---

(١) الإبانة ص ١٠٨ .

على العرش فى ( الإبانة ) مع السكوت عن ذلك فى ( اللمع ) لا يعتبر تناقضا ، لأن الأشعرى يتناقض حقاً إذا نفى ذلك نفياً قاطعاً فى كتابه ( اللمع ) ولكن الرجل لم ينف بل سكت . والسكوت عن تقرير رأى فى مؤلف لا يعتبر مناقضا لتقريره فى مؤلف آخر ) .

* * *

وأنا أرى غير الذى رآه الدكتور حموده . أرى أن رأيه فى ( التنزيه ) هو الرأى الذى مات عليه .

أولا : لأن التنزيه هو رأى المعتزلة ، الذى كان الأشعرى عليه مدة طويلة من الزمان .

ثانيا : لأن كثيراً من الباحثين يرون أن ما قرره الاشعرى فى ( الإبانة ) فى التجسيم بلا كيف قرره تحت ضغط الحنابلة . وما يصدر عن إنسان فى حالة الاختيار ، غير ما يصدر عنه فى حالة الاضطرار .

فـ ( مكدونالد ) كما يقول الدكتور حموده : « يرى أنه اضطر إلى ترك الصورة العقلية ، وإثبات الوجه واليدين ، وغير ذلك بعد رحيله إلى بغداد فى أخريات حياته ، ووقوعه تحت نفوذ الحنابلة . ومعنى ذلك : أنه اصطنع الصورة الثانية ليكسب بها رضا الحنابلة ، وربما ليدفع شرهم أيضاً . فليست المسألة مسألة عقيدة ولكنها مسألة ملاءمة للظروف ، ومراعاة لما تقتضيه . ولعل مما يشهد لذلك قول بعضهم : إن الأشاعرة قد جعلوا ( الإبانة ) من الحنابلة وقاية » .

وثالثاً : لأن حموده نفسه قد اعترف بكتابة الأشعرى للمع فى آخر حياته ، ومعنى هذا أن رأيه فى التجسيم بلا كيف هذا الرأى الذى قرره فى ( الإبانة ) لو كان الأشعرى مصراً عليه لقرره هو ثانية فى ( اللمع ) فعدم تقريره له ثانية خاصة وأنه فى ( اللمع ) كان يرد على أهل الزيغ والبدع يدل على رجوعه عنه رجوعا كليا .

وتعليل حموده بسكوت الأشعرى فى اللمع اكتفاء بما فصل فى الابانة تعليل مردود ، لأن سكوته لو كان من أجل بيانه فى الابانة . فلماذا ألف اللمع فى آخر

حياته؟ ولماذا تعرض لنفس الموضوعات التي تعرض لها في الإبانة؟ إن موضوعات اللمع هي نفسها موضوعات الابانة فلماذا كرر؟ إلا أن يكون قد وجد إيجازا في الكتاب الأول يريد توضيحه في الكتاب الثاني، أو رأيا كتبه في الكتاب الأول يريد محوه في الكتاب الثاني، أو أدلة غير قوية في الكتاب الأول، يريد أن يضع بدلها أدلة قوية في الكتاب الثاني وهكذا...

إن الأشعري لو كان يريد التجسيم بلا كيف في اللمع لما منعه مانع من الاشارة إليه وكيف يسكت عنه في اللمع. وهو شغل المتكلمين في زمنه[1]؟

عبارات من كتاب اللمع تدل على التنزيه :

يقول الأشعري : (فإن قال قائل : لم زعمتم أن البارى سبحانه، لا يشبه المخلوقات؟

قيل له : لأنه لو أشبهها لكان حكمه في الحدث حكمها، ولو أشبهها لم يخل من أن يشبهها من كل الجهات، أو من بعضها. فإن أشبهها من جميع الجهات كان محدثا مثلها من جميع الجهات، وإن أشبهها من بعضها كان محدثاً من حيث أشبهها. ويستحيل أن يكون المحدث لم يزل قديما، وقد قال الله تعالى «ليس كمثله شيء» وقال تعالى «ولم يكن له كفواً أحد»[2].

ثم يقول : «فإن قال قائل : لم أنكرتم أن يكون الله تعالى جسما؟ قيل له : أنكرنا ذلك لأنه لا يخلو أن يكون القائل لذلك أراد ما أنكرتم أن يكون طويلا عريضاً مجتمعا أو أن يكون أراد تسميته جسما، وإن لم يكن طويلا عريضاً مجتمعاً عميقاً. فإن كان أراد ما أنكرتم أن يكون طويلا عريضاً مجتمعاً كما يقال ذلك الأجسام فيما يلينا فهذا لا يجوز لأن المجتمع لا يكون شيئاً واحدا. لأن أقل قليل الاجتماع لا يكون إلا من شيئين، لأن الشيء الواحد لا يكون

---

(١) انظر تقديم الدكتور حموده غرابه لكتاب اللمع.

(٢) ص ١٩ ـ ٢٠ اللمع في الرد علي أهل الزيغ والبدع ـ مطبعة مصر سنة ١٩٥٥م

لنفسه بهاما . وقد بينا آنفا أن الله عز وجل شيء واحد ، فبطل بذلك أن يكون مجتمعاً . وإن أراد : لم لاتسمونه جسما ، وإن لم يكن طويلا عريضاً مجتمعاً ؟ فالأسماء ليست إلينا . ولا يجوز أن نسمى الله تعالى باسم لم يسم به نفسه ، ولا سماه به رسوله ، ولا أجمع المسلمون عليه ، ولا على معناه »(١) .

• • •

(ب) والشيخ الإمام ابن تيمية يبرر وجهة نظره بفهم العرب اللغة فيقول :

لم أجد بين المتقدمين من اللغويين أو النحاة فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة من قسم اللفظ إلى حقيقة ومجاز(٢) . وأول من عرف عنه أنه تكلم بلفظ المجاز هو ( أبو عبيدة معمر بن المثنى ) ( ١١٤ — ٢١٠ هـ ) فى كتابه ( مجاز القرآن ) ولم يقصد أبو عبيدة فى كتابه هذا بالمجاز : ما هو قسيم الحقيقة وإنما عنى بمجاز القرآن : ما يجوز أن يعبر به عن الآية فى اللغة فهو يستعمل لفظ المجاز بمعنى المعبر والممر . لا بمعنى قسيم الحقيقة .

والله تعالى بلغة العرب خاطب العرب على عادتهم فى التخاطب فمثلا قال تعالى « جدارا يريد أن ينقض فأقامه » كان من عادة العرب استعمال لفظ ( الإرادة ) فى ميل الإنسان الحى إلى الشيء وكان من عادتهم استعمال لفظ الإرادة فى ميل الجماد الذى لا شعور فيه ولا حس فالله خاطب العرب بمعنى عندهم من معنيين فقال « جدارا يريد » .

وقال تعالى « واسأل القرية » لفظ القرية من الأمور التى فيها ( الحال ) و ( المحل ) كلاهما داخل فى الاسم . والحكم الذى يتضمنه خبر سؤال القرية قد يعود على الحال والمراد به أهل القرية وقد يعود على المحل والمراد به المنازل والبيوت .

---

(١) ص ٢٣ ـ ٢٤ اللمع .

(٢) لو قلت رأيت أسدا فى الغابة . فلفظ الأسد حقيقة ولو قلت رأيت أسداً فى منزلنا فلفظ الأسد مجاز لأنك تريد رجلا شجاعا . إذ الأسد الحقيقى لا يعيش فى المنازل .

والقرآن قد استعمل القرية فى المعنيين فبمعنى الحال قال سبحانه « واسأل القرية » أى أهلها . وبمعنى المحل قال سبحانه « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها » أى المكان وليس السكان(١) .

* * *

٣ — وجاهة رأى المعتزلة :

قد تتأتى وجاهة نظر المعتزلة وهى وجيهة بالفعل من نظرهم إلى أمرين :

الأمر الأول : إثبات الله لنفسه أعضاء كأعضاء الإنسان .

الأمر الثانى : إثبات الله لنفسه عدم المماثلة . وظاهر الأمرين فيه تناقض . فلكى يوفقوا بين الأمرين قالوا إن آيات إثبات الله لنفسه أعضاء آيات متشابهة وآيات عدم المماثلة آيات محكمة . ولا بد من رد المتشابه إلى المحكم وعلى ذلك فالله ليس بجسم وليس كمثله شىء . وإنما هو يخاطب الناس على قــدر عقولهم .

كما يقول الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة . «وأن التأويل بلا شك فى هذا يقرب العقيدة إلى المدارك البشرية »(٢) . وصحة هذا المذهب واضحة من مقابلة مثل قوله تعالى « إن الله لا يستحيي » بقوله تعالى « نسوا الله فنسيهم » إذ أنه من الممكن فى « إن الله لا يستحيي » أن يفهم الفاهمون أن الله كالإنسان يستحيي مع تصور الله أعظم من أى إنسان فى الاستحياء ، ولكن ليس من الممكن فى : « نسوا الله فنسيهم » أن يفهم الفاهمون أن الله كالإنسان ينسى على تصور الله أعظم من أى إنسان فى النسيان .

ولما كان المعنى فى الاستحياء والنسيان واحد . ولا يمكن لعاقل أن يعترف بنسيان لله تعالى فإن الاستحياء والنسيان وما شابههما قد وردوا فى القرآن ليس لأن الله يهم يشبه البشر ، بل لأن الله يهم يقرب ذاته إلى عقول البشر .

---

(١) ص ٣٦٠ وما بعدها — الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل

(٢) ص ٢٧٠ ابن تيمية — ابو زهرة .

## الشيخ الإمام يرد على المصرحين بالتجسيم :

لقد تبين من رأى المجسمين أن فريقا منهم قال بالتجسيم وصرح به . وأن فريقاً منهم قال بالتجسيم ولم يصرح به .

والشيخ الإمام الذى لم يصرح بالتجسيم يرد على المصرحين به فيقول :

« تمثيل الله بخلقه والكذب على السلف من الأمور المنكرة سواء أسمى ذلك حشواً أم لم يسمه وهذا يتناول كثيراً من المثبتين من غالية المشبهة الذين يروون أحاديث موضوعة فى الصفات مثل حديث عرق الخيل[1] ونزوله على الجمل الاورق حتى يصافح المشاة ويعانق الركبان وتجليه لبنيه فى الأرض . أو رؤيته على الكرسى بين السماء والأرض أو رؤيته إياه فى الطواف او فى بعض مسالك المدينة إلى غير ذلك من الأحاديث الموضوعة فقد رأيت من ذلك أموراً من أعظم المنكرات ، وأحضر لى غير واحد من الناس من الأجزاء والكتب ما فيه من ذلك ما هو الافتراء على الله وعلى رسوله »[2] .

والشيخ الإمام ابن تيمية يصرح بالتأويل الذى صرحت به المعتزلة وكأنى به يثبت ذاتا لله وصفات على نحو ما أخبر الله عن نفسه . ثم مع إثباته الذات والصفات على نحو ما أخبر عن نفسه يثبت التأويل فى بعض الآيات القرآنية . وبعض الأحاديث .

ولأضرب مثلا لإيضـــاح رأيه كما فهمنا . لو أننى قلت عن رجل إن يده فى الطعام . لأثبت بهذا القول أن له يدا حقيقية . ولو قلت عن نفس الرجل : إن يده فى كل شىء لكان المعنى أنه رجل مهم يشرف بنفسه على أموره . فنى قولنا « إن يده فى الطعام » إثبات اليد الجارحة بدون تأويل . وفى قولنا « إن

---

(١) هذا خبر مكذوب . نصه : « إن الله خلق خيلا فأجراها فعرقت ثم خلق نفسه منها » .

(٢) نقض المنطق ص ١١٩ نقلا عن ص ٢٧٥ ابن تيمية حياته وعصره — آراؤه وفقهه — للشيخ أبى زهرة .

يده فى كل شىء ، إثبات القدرة لا اليد الجارحة وقد يفهم التأويل من القول الأول أيضا كما قد تفهم الحقيقة من القول الثانى .

ولعل ذلك واضح من قوله فى كتابه :

( الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ) :

قوله تعالى « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم » ولفظ ( مع ) جاءت فى القرآن عامة وخاصة فالعامة فى هذه الآية ، وفى آية المجادلة « ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم » فافتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم .

ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثورى وأحمد بن حنبل هو معهم بعلمه .

وأما المعية الخاصة ففى قوله تعالى : « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

وقوله تعالى لموسى « إننى معكما أسمع وأرى » وقال تعالى « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه فهو مع موسى وهارون دون فرعون . ومع محمد وصاحبه دون أبى جهل وغيره من أعدائه ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين فلو كان معنى المعية أنه بذاته فى كل مكان تناقض الخبر الخاص والخبر العام . بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك .

وقوله تعالى « وهو الذى فى السماء إله . وفى الأرض إله » أى هو إله من فى السموات وإله من فى الأرض كما قال الله تعالى « وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » وكذلك قوله تعالى : « وهو الله فى السموات

وفى الأرض ، كما فسره أئمة العلم كالإمام أحمد وغيره أنه المعبود فى السموات والأرض »(١) ا . هـ .

## ابن الجوزى يرد على المجسمة جميعاً

يقول الشيخ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن بن على بن محمد بن على بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن جعفر الجوزى (٥٠٨ — ٥٩٧ هـ — ١١١٤ — ١٢٠١ م)(٢) .

« رأيت من أصحابنا — أى علماء الحنابلة — من تكلم فى الأصول بما لا يصلح . وانتدب للتصنيف ثلاثة : أبو عبد الله بن حامد(٣) وصاحبه القاضى أبو يعلى(٤) وابن الزغوانى(٥) فصنفوا كتبا شانوا بها المذهب ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحس فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه الصلاة والسلام على صورته فأثبتوا له صورة ووجها زائدا على الذات وعينين وفما ولهوات وأضراساً وأضواء لوجهه ويدين وأصابع وكفاً وخنصراً وإبهاماً وصدراً وفخذاً وساقين ورجلين وقالوا ما سمعنا بذكر الرأس وقالوا : يجوز أن يمس ويمس ويدنى العبد من ذاته . وقال بعضهم ويتنفس . ثم

---

(١) ص ١٠٧ ـ ١٠٨ الفرقان بين أولياء الرحمن .

(٢) ص ٨ صفة الصفوة لابن الجوزى تحقيق محمود فاخورى طبعة دار الوعى بحلب ١٩٦٩ م

(٣) هو شيخ الحنابلة فى عصره أبى عبد الله بن حامد بن على البغدادى الوراق المتوفى سنة ٤٠٣ هـ كان من أكبر مصنفى الحنابلة . له كتاب فى أصول الاعتقاد سماه شرح أصول الدين وفيه أقوال تدل على التشبيه والتجسيم .

(٤) هو القاضى أبو يعلى محمد بن الحسين بن خلف بن الفراء الحنبلى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ولقد تكلم فى أصول الاعتقاد كلاما تبع فيه أستاذه ابن حامد وأكثر من التشبيه والتمثيل حتى لقد قال فيه بعض العلماء « لقد شان أبو يعلى الحنابلة شينا لا يغسله ماء البحار »

(٥) هو أبو الحسن على بن عبيد الله بن نصر الزاغونى الحنبلى المتوفى سنة ٥٢٧ هـ وله كتاب فى أصول الاعتقاد اسمه الإيضاح قال فيه بعض العلماء : « إن فيه من غرائب التشبيه ما يحار فيه اللبيب » ( نقلا عن ص ٢٧٣ ابن تيمية لأبى زهرة ) .

إنهم يرضون العوام بقولهم لا كما يعقل . وقد أخذوا بالظاهر فى الأسماء والصفات فسموها بالصفات تسمية مبتدعة ولا دليل لهم فى ذلك من النقل ولا من العقل . ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعانى الواجبة لله تعالى ولا إلى إلغاء ما توجبه الظواهر من سمات الحدث ولم يقنعوا بأن يقولوا (صفة فعل) حتى قالوا ( صفة ذات ) .

ثم لما أثبتوا أنها صفات قالوا لا نحملها على توجيه اللغة مثل ( يد ) على نعمة وقدرة ولا ( مجىء وإتيان ) على معنى بر ولطف ولا ( ساق ) على شدة بل قالوا نحملها على ظواهرها المتعارفة والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين والشىء إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن فإن صرف حمل على المجاز ثم يتحرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ويقولون نحن أهل السنة وكلامهم صريح فى التشبيه وقد تبعهم خلق من العوام .

وقد نصحت التابع والمتبوع .

فقلت لهم :

يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل وإتباع وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول وهو تحت السياط كيف أقول ما لم يقل . فإياكم أن تبتدعوا فى مذهبه ما ليس منه .

ثم قلتم فى الأحاديث تحمل على ظاهرها فظاهر القدم الجارحة فإنه لما قيل فى عيسى عليه الصلاة والسلام ( روح الله ) اعتقدت النصارى لعنهم الله تعالى أن لله سبحانه وتعالى صفة هى روح . ولجت فى مريم . ومن قال استوى بذاته المقدسة فقد أجراه سبحانه وتعالى مجرى الحسيات وينبغى أن لا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل . فإنا به قد عرفنا الله تعالى وحكمنا له بالقدم فلو أنكم قلتم نقرأ الأحاديث ونسكت لما أنكر أحد عليكم وإنما حملكم إياها على الظاهر قبيح فلا تدخلوا فى مذهب هذا الرجل الصالح السلفى ما ليس منه فلقد كسيتم

هذا المذهب شيئاً قبيحاً حتى صار لا يقال عن حنبلي إلا مجسم »(١) .

## نقدنا للشيخ الإمام ابن تيمية

نقول أولا وقبل كل شيء : إن الشيخ الإمام ابن تيمية من كبار العلماء وأئمة الدين . ولو لم يكن من حسناته إلا نقد التصوف وذم المتصوفة لكفى في فضله وشرفه وسؤدده ومجده(٢) .

والرأي الذي رآه قد سبقه به غيره وتابعه عليه غيره . وله فيه أدلة استحسنها عقله وقواها علمه ووضحها ذكاؤه وأشاعها غيرته على دين الله . وعجبي منه وهو البصير بلغة أهل الكتاب كما ظهر من كتابه « الجواب الصريح فيمن بدل دين المسيح » أنه لجأ إلى إثبات الصفات ونهى عن البحث في ماهيتها والنظر في تأويلها؟ وهو يعلم المشابهة التامة بين لغة العرب وما تعارف عليه اليهود والنصارى في لغة كتابهم الذي يعتبرونه مقدساً ، وكيف يقول بيد لله لا نعلمها ورجل لا نعلمها لئلا نقع في التشبيه . مع علمه بقول بولس : آمنوا ولا تفكروا ؟ « إن المسيح لم يرسلني لأعمد بل لأبشر . لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح ... ألم يجهل الله حكمة هذا العالم ؟ لأنه إذا كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة »(٣) ( كورنثوس الأولى ١ : ١٧ الخ ) .

* * *

وكيف يقول إن العرب لا تعرف المجاز الذي هو قسيم الحقيقة . مع أن شعر العرب ونثرها في الجاهلية هو هو شعرها ونثرها في صدر الإسلام وحتى

---

(١) ص ٢٦ — ٢٩ دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه .

(٢) انظر كتاب « الإسلام أنصف المرأة — أباطيل تدفعها حقائق » للدكتور عبد الغني الراجحي ص ٥٤ — ٥٥ والإسلام عقيدة وشريعة ص ٥٤ وكتاب الوحدانية مع دراسة في الأديان والفرق .

(٣) كرز كلمة سريانية معناها : وعظ وبشر ونصح . . الخ .

عصر ابن تيمية ومن بعد عصره وإلى يومنا هذا ؟ صحيح إن سائر الاصطلاحات لجميع العلوم جاءت متأخرة فى الزمن عن معرفة العلوم لكن الاصطلاحات لا يمكن أن تغير من مفاهيم العلوم شيئاً فمثلا العرب قد نظمت الشعر على أوزان مختلفة. ثم بعد مدة جاء من سمى هذه الأوزان بحوراً ، وسمى بعض البيت عروضاً وبعضه ضرباً وبعضه قافية . فهل غيرت هذه التسمية من موضوع الشعر شيئاً ؟ خذ مثلا على ذلك قول امرىء القيس الشاعر :

وليل كموج البحر أرخى سدوله
على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه
وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى
بصبح وما الإصباح منك بأمثل

إنه شبه الليل بموج البحر وجعل الليل ينزل أستاراً عليه ليغطيه بهموم . وأنه قال له لما طال عليه : انجلى بإرسال الصبح . وأن طول الليل كان ثقيلا عليه كبعير يمدد ظهره ... إلخ .

فأنت ترى أن الشاعر فى هذه الأبيات استخدم التشبيه لتحسين كلامه وأظهر المعنوى فى صورة المحسوس وخاطب الجماد كأنه عاقل .

* * *

وفى تصورى أن الذى أوقعه فى ما وقع فيه من نفى المجاز كله فى القرآن تصوره أن القرآن نزل للعرب وحدهم . فى حين أن القرآن لم ينزل إلا للعالم كله العرب وغير العرب(١) . ولغات العالم كلها فيها الحقيقة وفيها المجاز .

---

(١) انظر الطبعة الثانية من كتابنا : إعجاز القرآن نشر الأنجلو المصرية

يقول فى كتابه ( الإيمان ) : ( الواجب أن يعرف اللغة والعادة والعرف الذى نزل به القرآن والسنة وما كان الصحابة يفهمون من الرسول عند سماع تلك الألفاظ فبتلك اللغة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله لا بما حدث بعد ذلك )(١) .

ولكى نرد عليه نتتبع ألفاظ التوراة وألفاظ الإنجيل(٢) الذين كانا هدى للناس من قبل نزول القرآن ، وسوف نرى فيهما مثلَ ما فى القرآن مع الفارق عن المحكم والمتشابه فى ذات الله وصفاته وكيف يرد المتشابه إلى المحكم .

١ — آيات الجسمية فى التوراة والإنجيل

١ — فى إثبات الشكل والصورة « سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه لأن الله على صورته عمل الإنسان » ( تك ٩ : ٦ ) .

٢ — فى إثبات الرأس يقول أشعياء عن الله « لبس البر كدرع ، وخوذة الخلاص على رأسه » ( أش ٥٩ : ١٧ ) .

٣ — فى إثبات الرأس والشعر يقول دانيال عن الله « وشعر رأسه كالصوف النقى » ( دا ٧ : ٩ ) .

٤ — فى إثبات الوجه واليد والعضد يقول داود عن الله عز وجل « آباؤنا أخبرونا بعمل عملته فى أيامهم فى أيام القدم : أنت بيدك استأصلت الأمم

---

(١) ص ٤٢ الإيمان .

(٢) انظر : إظهار الحق تأليف الشيخ رحمت الله بن خليل العثمانى الكيرانوى الهندى ولد فى ٩ مارس ١٨١٨ وتوفى أول مايو ١٩٨١ م فى مكة المكرمة . ناظر القسيس بفندر والقسيس كثى فى الهند واشترك فى ثورة الهند سنة ١٨٥٧ م وهاجر إلى مكة وعمل مدرسا فى المسجد الحرام ثم أسس المدرسة الصولتية فى ١٤ من شعبان سنة ١٢٩٠ هـ وهى ما تزال باقية إلى هذا اليوم على غرار الأزهر وعميدها من أحفاد الشيخ رحمت الله وهو الآن : العلامة الجليل الشيخ : مسعود سليم سعيد رحمت الله .

وغرستهم حطمت شعوباً وبددتهم لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض ولا ذراعهم خلصتهم . لكن يمينك وذراعك ونور وجهك » ( مزمور ٤٤ : ١ - ٣ )

٥ — وفي إثبات العين والأذن يقول سليمان لله « لتكون عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلا نهارا على الموضع الذي قلت فيه إن اسمي يكون فيه لتسمع الصلاة التي يصليها عبدك في هذا الموضع » ( الملوك الأول ٨ : ٢٩ ) .

٦ — وفي إثبات العين والأجفان يقول داود « الرب في السماء كرسيه عيناه تنظران . أجفانه تمتحن بني آدم » ( مزمور ١١ : ٤ ) .

٧ — وفي إثبات الأذن والرجل والأنف والنفس والفم يقول داود « في ضيقي دعوت الرب وإلى إلهي صرخت فسمع من هيكله صوتي وصراخي قدامه دخل أذنيه فارتجت الأرض وارتعشت أسس الجبال ارتعدت وارتجت لأنه غضب صعد دخان من أنفه ونار من فمه أكلت جمراً اشتعلت منه طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه ... فظهرت أعماق المياه وانكشفت أسس المسكونة من زجرك يارب ، من نسمة ريح أنفك » ( مزمور ١٨ : ٦ - ٩ - ١٥ ) ... إلخ .

* * *

وفي تنزيه الله تعالى عن الشبيه والنظير نجد في التوراة : قول موسى لبني إسرائيل « فكلمكم الرب من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ولكن لم تروا صورة بل صوتا ، فاحتفظوا جداً لأنفسكم فإنكم لم تروا صورة ما : يوم كلمكم الرب في حوريب من وسط النار » ( تث ٤ : ١٣ و ١٥ ) ولما كان المفهوم من هاتين الآيتين مطابقا للبرهان العقلي وجب جعلهما من الآيات المحكمات ورد الآيات المشعرة بالجسمية إليهما لأنهم من الآيات المتشابهات .

## ٢ — آيات المكان في التوراة والإنجيل

في سفر الخروج يقول الله لموسى أن يقول لبني إسرائيل أن يضعوا له مكانا مقدسا ليسكن في وسطهم « فيضعون لي مقدسا . لأسكن في وسطهم » ( خروج ٢٥ : ١ — ٨ ) فقوله « لأسكن في وسطهم » يوحي بإثبات المكان

لله عز وجل وهذه آيات متشابهات ويجب أن ترد إلى الآيات المحكمات التى تنفى المكان عن الله مثل قول أشعياء : « هكذا قال الرب : السموات كرسى ، والأرض موطىء قدمى ، أين البيت الذى تبنون لى ؟ وأين مكان راحتى ؟ وكل هذه صنعتها يدى . فكانت كل هذه يقول الرب » ( أش ٦٦ : ١ - ٢ وانظر سفر الأعمال ٧ : ٤٨-٤٩ ) .

## نقدنا لعلماء الكلام فى السلف والخلف

ولقد شاع فى كتب علم التوحيد أن ( السلف يقولون والخلف يقولون ) وهذه عبارة أنا أرتاب فى صحتها ويجب أن تمحى من علم التوحيد فان اللغة التى فهم بها الخلف هى نفسها اللغة التى فهم بها السلف . ومدلول الألفاظ من قبل الإسلام هو نفسه مدلول الألفاظ من بعد الإسلام وحتى يومنا هذا . فلماذا هذا التقسيم ؟ هل كان السلف يفهمون من قوله تعالى عن سفينة نوح « تجرى بأعيننا » أن عيون الله مثبتة على ألواح السفينة بلا كيف وكان الخلف يفهمون منها أن المراد جريانها برعاية الله وعنايته ؟ وهل كان السلف يفهمون من قوله تعالى « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى » أن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى داخل جهنم مع أنه كان مؤمناً . وفهم الخلف أن المراد عمى القلب لا عمى البصر ؟ إن اللغة هى اللغة عند السلف وعند الخلف فلماذا يقولون عند السلف وعند الخلف ؟

## الفصل السابع

# مشاكل الصفات

نعني بمشاكل الصفات ما يتعلق بالذات الإلهية من مباحث في نظر علماء الكلام ( التوحيد ) ونقتصر هنا على أهم نقط الخلاف بينهم .

١ ــ اتفق علماء الكلام على أن « الله واحد » ثم تفرع على صفة الوحدانية صفات اختلفوا فيها هل هي عين الذات أم زائدة على الذات . غير منفكة عنها ؟

يقول المعتزلة : « إن القديم يوصف بأنه واحد على وجوه ثلاثة :

إحدها : بمعنى أنه لا يتجزأ أو لا يتبعض .

الثاني : بمعنى أنه منفرد بالقدم لا ثاني فيه .

الثالث : أنه متفرد بسائر ما يستحقه من الصفات النفسية من كونه قادرا لنفسه وعالماً لنفسه وحياً لنفسه »(١).

* * *

وأذكر مثلا لإيضاح مذهبهم ، ولا أقصد به واحداً معيناً :

لو رأى التلميذ المدرس في الفصل فماذا يقول فيه ؟ سيقول شخص واحد . بدون صفات منفصلة عنه فاذا تكلم وصفه بالكلام . وإذا نطق بعلم وصفه بالعلم وإذا سمع سؤال التلميذ وصفه التلميذ بالسمع أي أن المدرس هذا الشخص الواحد موصوف بصفات كامنة فيه لم تظهر منه إلا حال وجود المقتضى لظهورها فلو لم يسأل التلميذ ما سمع المدرس السؤال وبالتالي ما حكم عليه التلميذ بالسمع . وهكذا .

---

(١) المغنى ص ٢٤١ ج ٢ .

وهذه الصفات الكامنة فى المدرس موجودة فيه قبل مثوله أمام التلاميذ فى الفصل إذ لو لم تكن موجودة ما جرؤ على الظهور أمام التلاميذ ليكون معلماً مقتدراً فى القول وفى الفعل .

وهذا المدرس الشخص الواحـــد الموصوف بهذه الصفات حال الفعل . موصوف بها على أنها صفات قائمة بنفسه غير منفصلة عنه ولا عائدة عليه من موصوف بها غيره .

*

والمعتزلة يرون أن الصفات هى عين الذات ونقدوا الأشاعرة القائلين بزيادة الصفات مع قدمها بغير انفكاك عن الذات .

يقول القاضى عبد الجبار « ثم نبع الأشعرى وأطلق القول بأنه تعالى يستحق هذه الصفات لمعان قديمة لوقاحته وقلة مبالاته بالإسلام والمسلمين »(١) .

وفى كتاب الإبانة يقول الأشعرى عن المعتزلة « وقد قال رئيس من رؤسائهم وهو أبو الهذيل العلاف إن علم الله : هو الله . فجعل الله تعالى علما وألزم . فقيل له : إذا قلت : إن علم الله هو الله فقل يا علم الله اغفر لى . وارحمنى . فأبى ذلك فلزمه المناقضة .

واعلموا رحمكم الله أن من قال : عالم ولا علم كان مناقضاً كما أن من قال علم الله ولا عالم كان مناقضاً وكذلك القول فى القادر والقدرة والحياة والحى والسمع والبصر والسميع والبصير »(٢) .

والفلاسفة يقررون ما قرره المعتزلة لئلا يلزم فى العالم قديمان : الله والصفة .

---

(١) الأصول الخمسة ص ١٨٣

(٢) الابانة ص ١٤٤ .

يقول ابن سينا : « إذا أثبتنا واجباً فى الخارج ثبت به التوحيد أيضاً لأن وجوب الوجود عبارة عن أعلى وأشد مراتب الوجود ، ولو كان متعدداً لم يكن هو أعلى وأشد مراتب الوجود بهذا التقرير » .

ثم يقول عن الصفات : « ويلزم منه أيضاً كون جميع الصفات الحقيقية للبارى عين ذاته بمعنى أنه يصدر عنه لذاته بذاته جميع ما يصدر عن غيره مع صفاته وإلا يلزم الإمكان أو الدور والنسبة لكنها مستحيلة فيجب ألا تكون زائدة »(١) .

* * *

٣ — واتفق علماء الكلام على أن « الله عادل » ثم تفرع على صفة العدل القول فى السؤال الشهير : هل الإنسان مسير ام مخير ؟ لو كان مسيراً فكيف يعذب إذا عصى ، ولو كان مخيراً فكيف يقع فى ملك الله ما قـــد لا يريده من الإنسان ؟

يقول المعتزلة : إن الإنسان حر فى اختيار أفعاله .

ويقول الأشعرى بالكسب أى أن الإنسان وقت مد يده ليفعل تمتد يد الله معه فتكون قدرة الله القديمة مقترنة بقدرة الإنسان الحادثة وقت مد الإنسان يده ليفعل . وهم الإنسان بوضع يده هو كسبه الذى يستحق عليه الثواب أو العقاب .

يقول الأشعرى فى الإبانة : « وزعمت القدرية أ‍ـ‍ ‍حق اسم القدر لأنا نقول إن الله تعالى قدر الشر والكفر فمن يثبت القدر كان قدريا دون من لم يثبته . يقال لهم : القدرى هو من يثبت القدر لنفسه دون ربه عز وجل وأنه

(١) توفيق التطبيق ص ١٠ نقلا عن ص ٢٠٣ الوحدانية مع دراسة فى الأديان والفرق .

يقدر أفعاله دون خالقه ... إلخ »(١) .

ويقرر المعتزلة مذهبهم بما نصه : « إن أفعال الله تعالى كلها حسنة وأنه لا يفعل القبيح ولا يخل بما هو واجب عليه وأن لا يكذب فى خبره . لا يجور فى حكمه ولا يعذب أطفال المشركين بذنوب آبائهم ولا يظهر المعجزة على الكذابين ولا يكلف العباد ما لا يطيقون ولا يعلمون بل يقدرهم على ما كلفهم ويعلمهم صفة ما كلفهم ويدلهم على ذلك ويبين لهم « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة »(٢) .

وقد روى الإمام الشهرستانى فى الملل أنه نسب إلى الحسن البصرى أنه وجه رسالة إلى عبد الملك بن مروان يبين فيها صحة وجهة نظر المعتزلة فى قولهم بحرية الإنسان فى اختيار أفعاله .

ويقول الشهرستانى ولعلها لواصل بن عطاء زعيم المعتزلة لأن الحسن البصرى ما كان يخالف السلف والصحيح أنها للحسن فالسلف والخلف سواء فى فهم آيات الكتاب العزيز .

لقد ولد واصل سنة ٨٠ أو ٨١ هـ وتوفى سنة ١٣١ هـ وولد الحسن البصرى فى ٢١ هـ وتوفى سنة ١١٠ هـ وتوفى عبد الملك بن مروان سنة ٨٦ هـ وهو ابن ٦٢ سنة أى أنه توفى وسن واصل ست أو خمس سنوات فكيف فى هذه السن يوجه واصل رسالة إلى عبد الملك ؟

مشكلة الجبر والإختيار عند اليهود والنصارى

وهذه المشكلة كانت وما تزال عند علماء بنى إسرائيل . وقد تعرض لها المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بالتفسير والبيان وقرر فيها نفس ما قرره المعتزلة رحمة الله تعالى عليهم أجمعين .

---

(١) ص ١٩٧ الابانة .
(٢) الأصول الخمسة ص ١٢٣ .

ادعى علماء الفريسيين أن الإنسان مسير غير مخير . فخطّأهم المسيح فى هذا الإدعاء وبين أن الإنسان مخير .

واستدل بالتوراة على ما يقول استدل بهذا النص من كتاب موسى يقول الله تعالى : « إن هذه الوصية التى أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك ، ليست هى فى السماء حتى تقول من يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها ؟ ولا هى فى عبر البحر حتى تقول من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها ؟ بل الكلمة قريبة منك جداً فى فمك وفى قلبك لتعمل بها » ( تثنية ٣٠ : ١١ - ١٤ ) وبين أن الله لا يقدِر على الانسان ما لا يريده الانسان .

واستدل على ذلك بما جاء فى سفر يوئيل . « يقول الرب ارجعوا إلى بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح . ومزقوا قلوبكم لاثيابكم وارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رحيم بطىء الغضب » ( يوئيل ٢ : ١٢ - ١٣ ) .

واستدل المسيح من التوراة على أن الصالح يمكن أن يكون فاسدا من تلقاء نفسه بقول الله على لسان حزقيال « إذا رجع البار عن بره وعمل إثما وفعل مثل كل الرجاسات التى يفعلها الشرير أفيحيا ؟ كل بره الذى عمله لا يذكر . فى خيانته التى خانها وفى خطيته التى أخطأها بها يموت » ( حزقيال ١٨ : ٢٤ ) .

واستدل المسيح من التوراة على أن الفاسد يمكن أن يكون صالحاً من تلقاء نفسه بقول الله على لسان هوشع « إنى أدعو شعبا غير مختار فأدعوهم مختارين »(١) ( هوشع ٢ : ٢٣ و ١٦٥ : ١١ ) .

* *

وعندئذ سأل اندراوس : إنه يوجد فى كتاب موسى قول الله لموسى :

---

(١) استدل بها بولس فى رسالته إلى أهل رومية ٩ : ٢٥ .

« إني أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف »(١) ومفهوم هذا القول أن لا حرية للإنسان ولا اختيار فأجاب المسيح بما نصه :

« إنما يقول الله هذا لكيلا يعتقد الإنسان أنه خلص بفضيلته بل ليدرك أن الحياة ورحمة الله قد منحهما له الله من جوده ويقوله ليتجنب البشر الذهاب إلى أنه يوجد آلهة أخرى سواه . فإذا هو قسى فرعون فإنما فعله لأنه نكل بشعبنا وحاول أن يقضى عليه بإبادة كل الأطفال الذكور من إسرائيل حتى كاد موسى يخسر حياته . وعليه أقول لكم حقاً : إن أساس القدر إنما هو شريعة الله وحرية الإرادة البشرية بل لو قدر الله أن يخلص العالم كله حتى لا يهلك أحد لما أراد أن يفعل ذلك لكيلا يجرد الإنسان من الحرية التي يحفظها له ليكيد الشيطان حتى يكون لهذه الطينة التي امتهنها الروح ( الشيطان ) - وإن أخطأت كما فعل الروح - قدرة على التوبة والذهاب للسكن في ذلك الموضع الذي طرد منه الروح فأقول إن إلهنا يريد أن يتبع برحمته حرية إرادة الإنسان ولا يريد أن يترك بقدرته غير المتناهية المخلوق .

وهكذا لا يقدر أحد في يوم الدين أن يعتذر عن خطاياه لأنه يتضح له حينئذ كم فعل الله لتجديده وكم وكم قد دعاه إلى التوبة .

وعليه فإذا كانت أفكاركم لا تطمئن لهذا ووددتم أن تقولوا أيضاً « لماذا هكذا » ؟ فإني أوضح لكم « لماذا » ؛ وهو هذا : قولوا لي : لماذا لا يمكن الحجر أن يستقر على سطح الماء مع أن الأرض برمتها مستقرة على سطح الماء ؟ » ( بر ١٦٦ و ١٦٧ ) .

(١) خروج ٤ : ٢١ ورومية ٩ : ١٨ و[illegible] ١٦٦ : ١

## سبق الاصطفاء

ولقد واجه المسيح مشكلة تنبيه الله لأنبياء بنى إسرائيل عن مجىء نبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم بأنها سبق اصطفاء . أى وسيلة من الله أعدها لإصلاح البشر فى زمن معين لأن غاية ما يبغيه الله من عباده هو صلاحهم . لقد رأى أن صلاحهم فى وقت من الأوقات يكون بواسطة نبى يرسله إليهم . فهذا النبي وسيلة لغاية هى إصلاح البشر فى زمن معين . ولا يصح أن تكون هذه الوسيلة مدعاة للقول بالجبر وسلب الاختيار . ولو أننا أردنا إيضاح ذلك بمثل لقلنا :

إنسان أرسل عمالا لحقله . فى الصباح ، وقدر فى نفسه أنه سيرسل لهم واحداً من جنسهم وقت العصر ليبلغهم أمراً منه . مناسباً لهم فى وقت العصر . فإذا جاء الوقت وأرسل الإنسان هذا العامل . فانه ينفذ ما قدره فى نفسه ابتداء . ويتخذ الرسول وسيلة لإنجاز الغاية التى أرادها من العمال فى الحقل .

* * *

يقول المسيح عليه السلام : « أيها الأخوة : إن سبق الاصطفاء لسر عظيم حتى أنى أقول لكم الحق : إنه لا يعلمه جليا إلا إنسان واحد فقط وهو الذى تتطلع إليه الأمم الذى تتجلى له أسرار الله تجلياً فطوبى للذين سيصيخون السمع إلى كلامه متى جاء إلى العالم لأن الله سيظللهم كما تظللنا هذه النخلة . بلى إنه كما تقينا هذه الشجرة حرارة الشمس المتلظية هكذا تقى رحمة الله المؤمنين بذلك الاسم من الشيطان .

أجاب التلاميذ : يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذى تتكلم عنه الذى سيأتى إلى العالم ؟

أجاب يسوع بابتهاج قلب : إنه محمد رسول الله » ( بر ١٦٣ : ٢ - ٨ ) .

ويقول عن سبق الاصطفاء : « فماذا يمكن أن يكون معنى سبق الاصطفاء

سوى أنه إرادة مطلقة تجعل للشيء غاية وسيلة الوصول إليها فى يد المرء فانه بدون وسيلة لا يمكن لأحد تعيين غاية ... إلخ » ( ر ١٦٤ : ٧ ) .

٣ — واتفق علماء الكلام على أن الله تعالى « متكلم » ثم تفرع على صفة الكلام القول فى وعد الله ووعيده لأن من كلام الله وعد الطائعين بالجنة ووعيد العاصين بالنار . فهل يتخلف وعده ووعيده أم لا ؟ وتفرع على صفة الكلام : هل القرآن مخلوق أم قديم ؟

قال المعتزلة : كما قال الله « ما يبدل القول لدى » وقالوا إن الله قد تكلم بالتوراة ، ثم فى زمن بعدها تكلم بالإنجيل : ثم فى زمن بعده تكلم بالقرآن . وما كانت هذه الكتب قديمة معه . بل هو القديم وحده .

٤ — وتفرع على صفة الكلام حكم الناس على الطائع والعاصى . لأن الله لما تكلم بمدح الطائعين وذم العاصين . اختلف الناس فى الحكم عليهم لاختلافهم فى فهم كلام الله نفسه عن المدح والذم .

ولقد قال المعتزلة إن التائب من الذنب كمن لا ذنب له : والمصر على الذنوب الكبائر من المسلمين يعتبر فاسقاً وإذا مات على غير توبة ينصب الله له ميزاناً(١) فاذا زادت حسناته على سيآته كان من أهل الجنة فى درجة على قدر عمله ولا يأخذ عقابا على السيئات وإذا زادت سيئاته على حسناته كان من أهل النار فى دركة على قدر عمله ولا يأخذ ثواباً على الحسنات . ومن دخل الجنة لا يخرج منها أبداً . ومن دخل النار لا يخرج منها أبداً وقد وافقهم على هذا الرأى صاحب تفسير المنار فى الآية ٨١ من سورة البقرة وفى الآية ٩٣ من سورة النساء .

٥ — وتفرع على صفة الكلام أيضاً حقيقة الأمر بالمعروف والنهى عن

---

(١) الميزان كناية عن العدل ، ميزان معنوى .

المنكر ثم اختلفوا فيمن يأمروه وفيمن ينهوه ؟ يقول المعتزلة : « إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على ضربين :

أحدهما : ما لا يقوم به إلا الأئمة .

الثانى : ما يقوم به كافة الناس . أما ما لا يقوم به إلا الأئمة فذلك كاقامة الحدود وحفظ بيضة الإسلام وسد الثغور وتنفيذ الجيوش وتولية القضاة والأمراء وما أشبه ذلك . وأما ما يقوم به غيرهم من أفناء الناس فهو كشرب الخمر والسرقة والزنا وما أشبه ذلك . ولكن إذا كان هناك أمام مفترض فالرجوع إليه أولى »(١) .

٦ — واتفق علماء الكلام على أن « الله مريد » ثم تفرع على صفة الإرادة القول فى الصلاح والأصلح .

فقال المعتزلة : إنه لو كان فى العالم أمران أحدهما صلاح والآخر أصلح وجب على الله فعل الأصلح وإذا كان فى العالم أمران أحدهما صلاح والآخر فساد وجب على الله فعل الصلاح .

وقال غيرهم بعدم وجوب شىء على الله . وحجة المعتزلة أن الله هو الذى ألزم نفسه بذلك ، ابتداء .

فقال تعالى : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » ، أى ألزم نفسه بما لم يلزمه به أحد .

٧ — واتفق علماء الكلام على أن « الله قديم » ثم تفرع على صفة القدم القول بقدم العالم أو حدوث العالم .

يقول أصحاب مذهب « وحدة الوجود» إن ذات الله فى العالم والعالم فى ذات الله أى الله والإنسان شىء واحد والله والجماد شىء واحد .

---

(١) ص ٧٤١ الأصول الخمسة .

ويقول أصحاب مذهب « وحدة الصدور » إن الكون صدر من الله لا بالخلق بل بالتمدد فالله تمدد وبفضل هذا التمدد كان الكون وأنه لا بد فى النهاية من أن يتراجع الكون ويتقاص ويدخل فى الله بالكيفية التى خرج بها منه أو صدر عنه .

ولقد قال الفلاسفة بقدم العالم وقال جمهور المسلمين بحدوث العالم لأن الخالق متقدم على الخلق .

يقول أبو البركات أحمد الدردير فى شرح الخريدة « واعلم أن الفلاسفة كما قالوا بتأثير الطبائع والعلل قالوا : إن الواجب الوجود أثر فى العالم بالعلة فهو تعالى علة فيه فلذا قالوا إن العالم قديم لأنه يلزم من قدم العلة قدم المعلول فقد أثبتوا له تعالى عدم الاختيار وعدم القدرة ولا شك فى كفرهم عند المسلمين »(١) .

وجمهور النصارى يقولون بخلق العالم كما يقول جمهور المسلمين يقول الأنبا غريغوريوس فى تفسير قول الله تعالى فى التوراة : « أنا هو الرب إلهك » ( تثنية ٥ : ٦ ) .

« إن الكتاب المقدس يعلمنا أن الله ذات . والذات الإلهية متفردة وأن الله ليس كمثله شىء وأن الكون وكل الوجود مخلوق من الله . فليس الإنسان صادراً عن الله كما لو كان قطعة من كيانه وطبيعته وإنما الله أوجد الإنسان بفعل الخلق لا بفعل الصدور . فالانسان لم يكن موجودا مع الله منذ الأزل ثم شاء الله أن يخلق الانسان فأنشأه وأوجده ومنحه الوجود وكما ورد فى القداس الالهى « مما لم يكن كونت الانسان » فالله هو الكائن الأول وهو « الواجب الوجود » و « العلة الأولى » ولم يكن إنسان أو كائن ما موجودا مع الله ثم فى الزمان الذى أراده الله شاء أن يخلق الانسان فخلقه لا بالتمدد ولا بالصدور ولا بالانبثاق عنه بل خلقه بفعل « الخلق » أى أن الانسان لم يكن موجودا منذ الأزل ثم أوجده الله فى الزمان وإذن فالله ليس مجرد « صانع » للعالم كما قال « أفلاطون » بل هو

---

(١) ص ٢٦ شرح الخريدة لأبى البركات.

«خالق» والفرق بين الصانع والخالق هو أن الصانع يصنع من مادة موجود وجودا سابقاً على عملية الصنع أما الخالق فهو الذى ينشىء من العدم من لا شىء»(١) اهـ.

---

(١) جريدة وطنى المصرية فى ٢٦ نوفمبر ٩/ ١١ ٢ ١٤٠٢هـ - ٧/٨٣ غريغوريوس — من الأرثوذكس الذين يقولون إن الله هو المسيح فى أقانيم ثلاثة. أقانيم المراحل الثلاثة لا لذات الواحدة المسماة بأقانيم التجسد.

# خاتمة الكتاب

ما هي النتائج التي خرجنا بها من هذا البحث ؟

أولا : علمنا أن النصرانية ليست ديانة منفصلة عن الديانة اليهودية لقول المسيح نفسه « ماجئت لأنقض الناموس » أي ما جاء لنسخ التوراة . ونصرانية اليوم ليست من تعاليم المسيح ، بل من قرارات المجامع المسكونية العالمية . مجمع نيقيه سنة ٣٢٥ م وما بعده .

ثانياً : علمنا أن المقارنة بين الأديان السماوية لا تكون إلا بين اليهودية والاسلام . لأن موسى صاحب شريعة هي التوراة . ولأن محمدا صاحب شريعة هي القرآن . وقد نسخ القرآن الأحكام العملية في التوراة ، ولم ينسخ الآيات الدالة على ذات الله وصفاته . فإن موسى بين عن الله وصفاته كما بين النبيون من قبله ، ومن بعده . وإن لم يكن هـــذا هو الصواب فما معنى هذه الآيات الكريمات ؟

(١) « قل ما كنت بدعا من الرسل . وما أدري ما يفعل بي ولا بكم . إن أتبع إلا ما يوحى إلي . وما أنا إلا نذير مبين . قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به ، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله . فآمن واستكبرتم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين .

وقال الذين كفروا للذين آمنوا : لو كان خيراً ما سبقونا إليه . وإذ لم يهتدوا به . فسيقولون : هذا إفك قديم .

ومن قبله كتاب موسى . إماما ورحمة . وهذا كتاب مصدق ، لسانا عربيا ، لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين » (الأحقاف ٩ - ١٢) .

« وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله » أى أن نبيا من بنى إسرائيل هو موسى قد آتيناه التوراة ، وفيها من التوحيد والوعد والوعيد مثل ما فى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد كما يقول صاحب الكشاف : « على مثله » الضمير للقرآن ، أو على مثله فى المعنى ، وهو ما فى التوراة من المعانى المطابقة لمعانى القرآن من التوحيد والعدل والوعيد وغير ذلك ، ويدل عليه قوله تعالى « وإنه لفى زبر الأولين - إن هذا لفى الصحف الأولى - كذلك يوحى إليك ، وإلى الذين من قبلك » .

« ومن قبله كتاب موسى إماماً » قدوة يؤتم به فى دين الله وشرائعه كما يؤتم بالإمام « ورحمة » لمن آمن به وعمل بما فيه « وهذا » القرآن « كتاب مصدق » لكتاب موسى »ا . هـ .

(ب) « ولقد آتينا موسى الكتاب ، من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس ، وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر ، وما كنت من الشاهدين . ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر . وما كنت ثاوياً فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا . ولكنا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور إذ نادينا . ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون . ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم . فيقولوا : ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ، فنتبع آياتك ، ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا ، قالوا : لولا أوتى مثل ما أوتى موسى . أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل[٢] . قالوا سحران تظاهرا . وقالوا : إنا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين . فإن لم

---

(١) الكشاف فى سورة الأحقاف ٩ - ١٢ وتفسير النسفى

(٢) عن الحسن رحمه الله : قد كان للعرب أصل فى أيام موسى عليه السلام فمعناه على هذا : أو لم يكفر آباؤهم ( تفسير الكشاف فى القصص ) وهذا يدل على أن دعوة موسى كانت فى الأصل عالمية لليهود وللعرب وغيرهم .

يستجيبوا لك . فاعلم أنما يتبعون أهواءهم . ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله . إن الله لا يهدى القوم الظالمين » .

ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون . الذين آتيناهم الكتاب من قبله ، هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم ، قالوا آمنا به . إنه الحق من ربنا ، إنا كنا من قبله مسلمين » ( القصص ٤٣ - ٥٣ ) .

(ت) « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن ، يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا : أنصتوا . فلما قضى ، ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا : يا قومنا . إنا سمعنا كتابا ، أنزل من بعد موسى ، مصدقا لما بين[1] يديه ، يهدى إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعى الله ، وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ، ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعى الله ، فليس بمعجز فى الأرض ، وليس له من دونه أولياء . أولئك فى ضلال مبين » ( الأحقاف ٢٩ - ٣٢ ) إنهم سمعوا كتابا من بعد موسى . لأنهم كانوا على اليهودية[2] .

وهذا يدل على أن الشريعة الأولى هى شريعة التوراة ، وعلى أن الشريعة الثانية هى شريعة القرآن . وليس لعيسى شريعة . فإنه كان على شريعة موسى . ولو كانت له شريعة منفصلة عن التوراة لقال الجن من بعد عيسى ، لا « من بعد موسى » .

* * *

وقد ادعى الإمام أبو محمد على ابن حزم الأندلسى الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ

---

(١) فى القرآن الكريم أن عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة ، وأن محمدا مصدق لما بين يديه من التوراة . والفرق بين عيسى ومحمد عليهما السلام أن عيسى مصدق فقط ، أما محمد فمع كونه مصدقا هو مهيمن على التوراة ، أى من حقه نسخ أحكام فيها . ( المائدة ٤٦ — ٤٨ ) .

(٢) انظر تفسير الكشاف وتفسير النسفى فى الأحقاف ٢٩ ـ ٣٢

صاحب « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » أن اليهود يجسمون الله ، ويشبهونه بالإنسان .

يقول فى التعليق على هاتين الآيتين من التوراة : « فقال الرب لموسى هكذا تقول لبنى إسرائيل أنتم رأيتم أنى من السماء تكلمت معكم . لا تصنعوا معى آلهة فضة . ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب » ( خروج ٢٠ : ٢٢ - ٢٣ ) .

يقول ابن حزم ما نصه : « هذا تجسيم لا شك فيه ، وتشبيه لا خفاء به ، وليس هذا كقول الله تعالى « وجاء ربك والملك صفاً صفاً » ولا كقوله تعالى : « إلا أن يأتيهم الله فى ظل من الغمام والملائكة » ولا كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة فى ثلث الليل الباقى إلى سماء الدنيا » لأن هذا كله على ظاهره بلا تكلف تأويل :

إنما هى أفعال يفعلها الله عز وجل تسمى مجيئاً وإتياناً وتنزلا . ولا مثل قوله تعالى « يد الله فوق أيديهم » « ويبقى وجه ربك » وسائر ما فى القرآن من مثل هذا . فكله ليس بمعنى الجارحة . لكن على وجوه ظاهرة فى اللغة قد بيناها فى غير هذا المكان . عمدتها : أن كل ذلك خبر عن الله تعالى : لا يرجع بشىء من ذلك إلى سواه أصلا .

ثم كيف يجتمع ما ذكرنا عن توارتهم مع قوله فى السفر الخامس « كلمكم الله من وسط اللهيب ، فسمعتم صوته ، ولم تروا له شخصاً »(١) وهاتان قضيتان تكذب كل واحدة منهما الأخرى . ولابد »(٢) اهـ .

---

(١) النص من ترجمة البروتستانت بمصر سنة ١٩٧٠ هكذا : « فكلمكم الرب من وسط النار ، وأنتم سامعون صوت كلام . ولكن لم تروا صورة ، بل صوتا » ( تثنية ٤ : ١٢ )

(٢) ص ١٦٠ ــ ١٦١ الفصل فى الملل والأهواء والنحل الجزء الأول طبعة مكتبة المثنى ببغداد .

## مناقشة ابن حزم

يقول ابن حزم إن قول الله « أنى من السماء تكلمت معكم » يدل على التجسيم ولماذا يدل على التجسيم ؟ لأنه يحدد مكانا لله فى السماء .

ونسى أن الله فى القرآن الكريم يقول : « أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض ؟ » ( الملك ١٦ ) .

فهل قول الله فى القرآن الكريم يدل على التجسيم ؟ كلا إنه لا يدل على التجسيم بل إن الناس كانوا يعتقدون التشبيه ، وأن الله فى السماء ، وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه ، فقيل لهم على حسب اعتقادهم . أأمنتم من تزعمون أنه فى السماء ، وهو متعال عن المكان(١) . كما جاء فى تفسير أبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى عليه سحائب الرحمة والرضوان . إنه كما أن قول الله فى القرآن لا يدل على التجسيم كذلك قوله فى التوراة إذا كان هو القائل ، لا يدل على التجسيم .

وابن حزم أول آيات الصفات فى القرآن مثل « وجاء ربك » ... إلخ فلماذا لم يؤول آيات الصفات المشابهة لآيات الصفات القرآنية فى التوراة ؟ خاصة وأنه قد جاء فى التوراة « فسمعتم صوته ، ولم تروا له شخصاً » حسب نقله هو . إنه يفهم جيداً أن آية « فسمعتم صوته ولم تروا له شخصاً » تدل على التنزيه ، بدليل قوله إنها متعارضة مع « أنى من السماء تكلمت معكم » فلماذا لم يجعلها محكمة ويجعل مثل « أنى من السماء » آيات متشابهة ترد إلى الآيات المحكمة ؟

إن ابن حزم يحكم على بنى إسرائيل بتحريف التوراة ، ويحكم عليهم بأنهم وضعوا فيها آيات تدل على تجسيم الله . أما حكمه عليهم بالتحريف فهو صحيح ، لأن أنبياءهم حكموا بما حكم به ابن حزم فإرمياء النبى فى سفره يقول لبنى إسرائيل

---

(١) تفسير النسفى فى سورة الملك الآية ١٦ .

« أما وحى الرب فلا تذكروه بعد لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه . إذ قد حرفتم كلام الإله الحى ، رب الجنود إلهنا » ( إرمياء ٢٣ : ٣٦ ) .

وأما حكمه عليهم بالتجسيم فهو غير صحيح . وكيف يكون . وفى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة عن ذات الله وصفاته مثـــل ما فى التوراة ؟

* * *

إنه فى القرآن الكريم « لاتدركه الأبصار » وهذه عبارة محكمة تدل على أن الله لا يرى .

وفى القرآن الكريم : « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » كيف يقول « لاتدركه الأبصار » . أى لا يرى . ثم يقول « الى ربها ناظرة » أى يرى ؟ إن « لاتدركه الأبصار » آية محكمة ، أى أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه . وإن « إلى ربها ناظرة » آية متشابهة ، أى محتملة لأكثر من معنى . والآية المتشابهة ترد إلى المحكمة لئلا يلزم التناقض والاختلاف فى كلام الله . ولما كانت الآية المحكمة تصرح بعدم الرؤية فإن « إلى ربها ناظرة » معناها : إلى نعمة ربها تنظر وترى .

وهكذا ونفس التأويل يقال فى آيات ابن حزم فآيتا سفر الخروج متشابهة وآية سفر التثنية محكمة .

* * *

وقد أثبتت المقارنة بين التوراة والقرآن فى ذات الله وصفاته ما يلى :

## المقارنة

١ — بينت التوراة أن الله واحد « الرب إلهنا رب واحد » وبين القرآن أن الله واحد « هو الله أحد » .

٢ — بينت التوراة أن الله لايرى « لم تروا صورة ، بل صوتا » وبين القرآن أن الله لا يرى « لاتدركه الأبصار » .

٣ — بينت التوراة أن الله ليس كمثله شيء « ليس مثل الله » وبين القرآن أن الله ليس كمثله شيء « ليس كمثله شيء » .

٤ — بينت التوراة أن الله لا يحده مكان ولا زمان « أملأ أنا السموات والأرض » وبين القرآن أن الله لا يحـــده مكان ولا زمان « وسع كرسيه السموات والأرض » .

٥ — بينت التوراة أن الله يتصف بكل كمال ويتنزه عن كل نقص . وكذلك بين القرآن . ومن هذه الصفات « الرب إله رحيم ، رؤوف ، بطيء الغضب ، وكثير الإحسان والوفاء ... إلخ » . « غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول ، لا إله إلا هو إليه المصير » وقد ذكرنا مقارنة فى إحـــدى وثلاثين صفة .

٦ — اسم الله فى التوراة « يهوه » واسمه فى القرآن « الله » .

٧ — كيف أعلن الله عن نفسه للناس ؟ طريقة الإعلان فى التوراة ، هى نفسها طريقة الإعلان فى القرآن « إن كان منكم نبى للرب . فبالرؤيا أستعلن له ، فى الحلم أكلمه ... الخ » وفى القرآن الكريم « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء ... إلخ »

٨ — المحكم والمتشابه فى ذات الله وصفاته فى التوراة مثل المحكم والمتشابه فى ذات الله وصفاته فى القرآن .

فالتأويل فى مثل « لا تقدر أن ترى وجهى » مثل التأويل فى « ويبقى وجه ربك » وتفسير علماء من بنى إسرائيل للمحكم والمتشابه من قبل نزول القرآن ومن بعده مثل تفسير علماء من المسلمين للمحكم والمتشابه .

* * *

وللآيات القرآنية الآتية شبه فى التوراة بالمعنى . ومايقال فيها يقال فى شبهها :

« الرحمن على العرش استوى » ، « كل شيء هالك إلا وجهه » ، « ويبقى وجه ربك » ، « ولتصنع على عيني » ، « يد الله فوق أيديهم » ، « والسموات مطويات بيمينه » ، « ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله » ، « تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك » ، « يريدون وجهه » ، « إنما نطعمكم لوجه الله » ، « إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى » ، « فثم وجه الله » ، « إن الله سميع بصير » ، « تجري بأعيننا » ، « ولتصنع على عيني » ، « لما خلقت بيدي » ، « يد الله فوق أيديهم » ، « مما عملت أيدينا » ، « وأن الفضل بيد الله » ، « يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله » ، « فإني قريب » ، « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » ، « وهو القاهر فوق عباده » ، « يخافون ربهم من فوقهم » ، « وجاء ربك » . « يحبهم ويحبونه » ، « فاتبعوني يحببكم الله » ، « غضب الله عليهم » ، « رضي الله عنهم » ، « بل عجبت »(١) ، « وإن تعجب فعجب قولهم » ، « عند ربك » ، « من عنده » ، « وهو معكم أينما كنتم » ، « سنفرغ لكم أيها الثقلان » ... إلخ .

• • •

ولقد رددنا على القائلين بالإيمان بها ، وتفويض معناها المراد منها إلى الله ، ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها بقولنا : إن آيات الصفات تؤول على ما يليق بجلاله تعالى .

وليس هذا مذهب الخلف كما يدعي المدعون . بل هذا مذهب العقلاء من الناس من قبل نزول القرآن . إنهم ادعوا أن السلف مفوضون فهل كانوا مفوضين في كل الآيات ؟

هل سفينة نوح عليه السلام كانت تجري بعيني الله حقيقة مع عدم بيان حقيقة عيني الله المثبتتين في السفينة ، وقد جرت بهما ؟

---

(١) على رواية ضم التاء — أي عجب الله .

هل كان السلف يقولون فى «ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله» إنها رأت جسم الله وأمسكته بيدها وفرطت فى جنب لانعرف ما هو ؟

هل كان السلف يقولون فى «نسوا الله فنسيهم» إن الله قد نسى نسياناً غير نسياننا ؟ أو مروا على هذه الآية من الكرام فلم يحاولوا فهمها . وأمثالها ؟

* * *

وقد تشدق هؤلاء الأدعياء بما روى عن مالك رحمه الله تعالى أنه قال : (الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة) . وإنى لأسألهم : أولا وقبل كل شىء السند المتصل لرواية مالك هذه فهل يقدرون على إتيان هذا السند ؟ لا يقدرون .

وما دامت هذه الرواية ليست قرآناً ولا سنة ، وليس لها من سند متصل فكيف يثبتون بها رأياً ؟

ثم أقول لهم إن الرواية كاذبة فى بعض العبارات لأن الله يعرف بالعقل وهى تقول كيفية الله لا تعرف بالعقل ولأن الرواية تقول والسؤال عنه بدعة .

والقرآن يقول : «اسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» ويقول : «ولا ينبئك مثل خبير» فكيف يأمرنا الله بالسؤال وينهانا عنه مالك ؟

وصادقة فى بعض العبارات فإن الاستواء غير مجهول على المعنى الحقيقى . إن معناه الجلوس . وغير مجهول على المعنى المجازى إن معناه الاستيلاء ، والمعنى الحقيقى الاستواء لا يليق بذات الله لأنه «فى السموات ، وفى الأرض» و«ليس كمثله شىء» والإيمان به واجب على حسب عرف اللغة من جهة ، وعلى حسب المحكم والمتشابه من جهة أخرى(١) .

---

(١) انظر موضوع المحكم والمتشابه فى أول الجزء الثانى من كتاب «الإتقان فى علوم القرآن» للسيوطى .

والله تعالى أعلم ، وأعز وأكرم . وصلى الله وسلم وبارك على محمد نبى الرحمة وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بخير إلى يوم الدين . آمين .

* * *

وكان الفراغ من كتابته فجر يوم الجمعة الخامس من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وألف من الهجرة الموافق الثانى عشر من مايو سنة ثمان وسبعين وتسعمائة وألف من الميلاد .

د . احمد حجازى احمد السقا

عنوان المراسلات : —
٣٩ شارع الزهور — عزبة مرسى خليل — الزيتون — القاهرة

١ — درجة الليسانس من كلية اللغة العربية سنة ١٩٦٧
٢ — معادلة الدراسات العليا فى كلية أصول الدين سنة ١٩٧٠
٣ — درجة الماجستير من كلية أصول الدين سنة ١٩٧٢
٤ — درجة الدكتوراه من أصول الدين سنة ١٩٧٧ م فى موضوع : « البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل » أشراف الأستاذ الدكتور الشيخ محمد بن محمد أبو شهبه وعضوية الأستاذ الدكتور الشيخ عوض الله جاد حجازى والأستاذ الدكتور الشيخ عبد الغنى عوض الراجحى . . عمداء كلية أصول الدين سابقا

# مصادر الكتاب ومراجعه


- القرآن الكريم
- كتب الأحاديث المروية عن أهل السنة والجماعة
- كتب التوراة والإنجيل فى ( الكتاب المقدس ) ترجمة البروتستانت بمصر سنة ١٩٧٠ م
- إنجيل برنابا
- تفسير المنار
- « الزمخشرى
- « البيضاوى
- « القرطبى
- « الجواهر
- « النسفى
- « فتح القدير
- إظهار الحق : الشيخ رحمت الله الهندى
- الفصل فى الملل والأهواء والنحل : الإمام ابن حزم
- يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته : دكتور هانى رزق
- رسالة فى اللاهوت والسياسة : سبينوزا
- التاريخ مما تقدم عن الآباء : ترتيب أبى الفتح السامرى
- التلمود ، أصله ، وتسلسله ، وآدابه : الدكتور شمعون
- يقظة أولى الاعتبار ، مما ورد فى ذكر النار وأصحاب النار : تأليف الشيخ صديق حسن خان - تقديم : أحمد حجازى السقا

- تفسير الكتاب المقدس : جماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسيس دافدسن
- تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث : ابن كمونة
- مباحث فى علوم القرآن : الدكتور صبحى الصالح
- أقانيم النصارى : أحمد حجازى السقا
- نبوءات عن محمد فى الكتاب المقدس : أحمد حجازى السقا
- لا نسخ فى القرآن : أحمد حجازى السقا
- أقوال المسيح غير المدونة فى بشائر الأناجيل : يوا كيم إرمياء ، تعريب الدكتور عزت زكى
- خلاصة الأصول الإيمانية ، فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية : حبيب جرجس
- شرح التعليم المسيحى لطلبة المدارس ج ١ : يوسف لويس
- تفسير إنجيل متى : الأنبا أثناسيوس
- تفسير إنجيل متى : متى هنرى ج ١
- تاريخ الأقباط : زكى شنودة ج ١ و ٨
- ابن الله : القمص إبراهيم جبره
- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة : القرافى
- قصص الأنبياء : الشيخ عبد الوهاب النجار
- تفسير إنجيل يوحنا : الأنبا أثناسيوس
- دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المكتشفات الحديثة : طبيب موريس بوكاى
- حواش على الكتاب المقدس للآباء اليسوعيين (اطلب الكتاب المقدس للآباء اليسوعيين ففيه الحواشى) من مكتبة النيل بشارع الألفى بمصر
- الحركة الفكرية ضد الإسلام - أهدافها ومقاومتها - الدكتور الأستاذ بركات عبد الفتاح

- أعلام النبوة : الإمام الماوردى
- الأسفار المقدسة : الدكتور على عبد الواحد وافى
- الأصول الخمسة : القاضى عبد الجبار بن أحمد : تعليق أحمد بن الحسين : تحقيق وتقديم الدكتور عبد الكريم عثمان
- الوحدانية مع دراسة فى الأديان والفرق : الدكتور الأستاذ بركات عبدالفتاح دويدار
- الملل والنحل : الإمام الشهرستانى
- تاريخ العرب المطول - المجلد الأول: إفيليب حتى - تعريب: محمد مبروك نافع
- تحفة المريد على جوهرة التوحيد : الشيخ إبراهيم الباجورى
- لباب المعقول : الإمام أبى الحجاج يوسف بن محمد المكلاتى : تحقيق الدكتوره فوقية حسين محمود
- مقالات الإسلاميين ، واختلافات المصلين : الأشعرى : تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد
- الرسالة المدنية : الشيخ الإمام ابن تيمية
- المغنى فى أبواب التوحيد والعدل : القاضى أبى الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمدانى
- جريدة وطنى المصرية
- شرح الخريدة : الشيخ أبى البركات الدردير
- الإبانة فى أصول الديانة : الأشعرى : تحقيق الدكتوره فوقية حسين محمود
- ابن قيم الجوزية : الدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين
- اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع : الأشعرى تحقيق الدكتور حمودة غرابه
- الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل : الدكتور محمد السيد الجليند
- ابن تيمية : الشيخ الإمام محمد أبو زهرة
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : الشيخ الإمام ابن تيمية

- صفوة الصفوة : الشيخ الإمام ابن الجوزى تحقيق محمود فاخورى
- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه : الشيخ الإمام ابن الجوزى : تحقيق الشيخ الإمام محمد زاهد الكوثرى
- الإسلام أنصف المرأة - أباطيل تدفعها حقائق : الدكتور الأستاذ العلامة المجتهد الشيخ الإمام العظيم عبد الغنى الراجحى
- الإسلام عقيدة وشريعة : الشيخ الإمام محمود شلتوت
- إعجاز القرآن : رد على كتاب الفن القصصى فى القرآن الكريم : نشر الأنجلو المصرية : أحمد حجازى السقا
- الإيمان : الشيخ الإمام ابن تيمية

فهرس الكتاب

| صفحة | الموضوع |
|---|---|
| ٣ | تقديم الكتاب للأستاذ الدكتور الشيخ عبد الغنى عوض الراجحى |
| ٨ | مقدمة الكتاب |
| ١١ | الفصل الأول : « الله وصفاته فى التوراة » |
| ١١ | التوراة العبرانية والسامرية |
| ١٢ | التوراة اليونانية |
| ١١ | أسفار الأنبياء |
| ١٤ | الله واحد فى التوراة |
| ١٦ | الله لايراه أحد ، ولا يقدر أحد أن يراه |
| ١٧ | الله ليس كمثله شىء |
| ١٩ | الله لايحده مكان ولا زمان |
| ٢٠ | صفات الله فى التوراة |
| ٢٥ | أسماء الله فى التوراة |
| ٢٦ | كيف أعلن الله عن نفسه للناس ؟ |
| ٢٧ | الله كلم موسى فى ظلل من الغمام |
| ٢٨ | الله كلم أيوب من وسط العاصفة |
| ٢٩ | الله كلم المسيح عيسى وراء حجاب |
| ٣٠ | المحكم والمتشابه فى ذات الله ، وصفاته فى التوراة |
| ٣٠ | آيات الأعضاء |
| ٣١ | آيات صفات الإنسان وأفعاله ومشاعره |
| ٣١ | آيات ظهور الله شخصيا للناس |
| ٣٥ | تفسير أحبار اليهود للمحكم والمتشابه |

| الصفحة | الموضوع |
|---|---|
| ٣٦ | الفيلسوف ابن كمونة : يشرح عقيدة اليهود فى تنزيه الله عن الجسمية والشبه وفى بعث الأموات |
| ٣٧ | ابن كمونة يرد على الذين اتهموا اليهود بتجسيم الله وشبهه بالناس |
| ٤٠ | موافقة علماء من المسلمين على رأى اليهود فى تنزيه الله عن الجسمية والشبه وأن ما ورد فى الآيات من اليد والرجل لله وغيرهما . وماورد فى الآيات من غضب الله . ونسيانه وغيرهما ، يحمل على التأويل ، أى أن الله يقرب ذاته إلى عقول البشر بلغة على قدر عقولهم . أما هو فليس كمثله شىء |
| ٤٢ | بحث تمهيدى عن عيسى ، ودعوته ، وكبار أتباعه |
| ٤٤ | المسيح مصدق لما بين يديه من التوراة |
| ٤٥ | المسيح مفسر للتوراة |
| ٤٦ | المسيح يحل للناس بعض ما حرمه عليهم علماء بنى إسرائيل |
| ٤٨ | المسيح بن مريم لا يصدر فتوى بغير دليل من التوراة |
| ٥١ | أهل الروم قالوا لليهود العبرانيين : أن يسوع هو الله |
| ٥٦ | المسيح عيسى يستشهد من التوراة الموجودة إلى اليوم فى كنائس النصارى على أنه بشر فان ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا |
| ٥٩ | فهم النصارى لألوهية المسيح |
| ٦٣ | الفصل الثانى : « الله وصفاته فى الإنجيل » |
| ٦٣ | تعريف بالإنجيل |
| ٦٤ | الأناجيل الأربعة |
| ٦٤ | الكتاب المقدس « البيبل » Bible |
| ٦٥ | المسيح عيسى لم ينسخ التوراه |
| ٦٦ | المسيح عيسى يقول : إن الله واحد ، كما فى التوراة |
| ٦٧ | المسيح عيسى يقول : إن الله لا يرى ، كما فى التوراة |
| ٦٨ | اللاهوتيون يصرحون بما صرح به الربانيون والأحبار ، عن ذات الله وصفاته |

| الصفحة | الموضوع |
| --- | --- |
| ٧٠ | الآب « الآب » والأبناء ، فى التوراة والإنجيل |
| ٧٢ | الفصل الثالث : « الله وصفاته فى المجامع النصرانية » |
| ٧٣ | أصل أقنوم الابن |
| ٧٥ | آريوس يقول : إن الابن أصغر من الآب ، ولا يساويه فى الجوهر |
| ٧٥ | الشيخ شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكى المعروف بالقرافى يقول إن نبوءة « ابن الله » فى المزمور الثانى تنطبق على نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم |
| ٧٦ | أصل أقنوم الروح القدس |
| ٧٦ | بيركليت ( بيرقليط = أحمد ) |
| ٧٦ | النصارى ينطقونها : باركليت ، أى النائب عن المسيح عيسى ، ويصرحون فى كتبهم أن : بيركليت اسم أحمد |
| ٧٧ | بيركليت كلمة عبرانية تترجم فى اللغة اليونانية « بيركليتوس » ويقول المستشرق « كارلو فلينو » إن معناها « الذى له حمد كثير » |
| ٧٧ | الطبيب الفرنسى « موريس بوكاى » يقول إن Paraclet « باركليت » تعنى « نبى » ولا تعنى الإله الثالث فى الثالوث المقدس ( الروح القدس ) |
| ٧٨ | صفات الله حسب الأقانيم |
| | أقانيم الأرثوذكس « معظم الأقباط » ( أقانيم التجسد ) |
| ٧٨ | أقانيم الكاثوليك « معظم الغرب » ( أقانيم التعدد ) |
| ٨٠ | الفصل الرابع « أقانيم الصفات الثلاثة : الوجود ، والعلم ، والحياة » |
| ٨٠ | أقانيم الصفات الثلاثة عند الأرثوذكس |
| ٨١ | أقانيم الصفات الثلاثة عند الكاثوليك والبروتستانت |
| ٨١ | ولا تقولوا ثلاثة |
| ٨٢ | الفصل الخامس : « الله وصفاته فى القرآن » |
| ٨٤ | الله واحد فى القرآن |
| ٨٤ | الله لا يرى ولا يقدر أحد أن يراه |

| الصفحة | الموضوع |
| --- | --- |
| ٨٤ | المعتزلة ينفون رؤية الله فى الدنيا والآخرة |
| ٨٥ | المسيح عيسى ينفى رؤية الله من قبل ظهور المعتزلة ، مستشهدا بآيات من من التوراة على ما يقول |
| ٨٦ | الله ليس كمثله شىء فى القرآن |
| ٨٦ | الله لا يحده مكان ولا زمان |
| ٨٦ | صفات الله فى القرآن الكريم |
| ٨٩ | أسماء الله فى القرآن |
| ٨٩ | اسم الله فى بلاد العرب قبل الإسلام |
| ٩٠ | كيف أعلن الله عن نفسه للناس فى القرآن ؟ |
| ٩٠ | المحكم والمتشابه فى ذات الله وصفاته فى القرآن |
| ٩٣ | الفصل السادس : « فلسفة الصفات » |
| ٩٣ | الرأى الأول : رأى المجسمة |
| ٩٤ | الرأى الثانى : رأى المعتزلة |
| ٩٥ | الرأى الثالث : رأى المجسمين بلا كيف وهو رأى ابن تيمية وبعض العلماء |
| ٩٧ | ابن قيم الجوزية يؤيد ابن تيمية فى التجسيم بلا كيف |
| ٩٩ | لو برر المجسمة رأيهم فماذا يقولون ؟ |
| ٩٩ | تبرير رأى الأشعرى والشيخ الإمام ابن تيمية ـ المجسمين بلا كيف |
| ٩٩ | تبرير رأى الأشعرى |
| ١٠٠ | هل رجع الأشعرى عن رأيه ؟ |
| ١٠١ | مناقشة الدكتور حموده غرابه فى تقديمه لكتاب ( اللمع ) للأشعرى |
| ١٠٢ | عبارات من كتاب ( اللمع ) تدل على التنزيه |
| ١٠٣ | الشيخ الإمام ابن تيمية يبرر وجهة نظره بفهم العرب للغة |
| ١٠٤ | وجاهة رأى المعتزلة |
| ١٠٥ | الشيخ الإمام الإمام ابن تيمية يرد على المصرحين بالتجسيم ، ويقول |

| الصفحة | الموضوع |
|---|---|
| | بشبه ما قاله ابن دقيق العيد ، كما روى السيوطى فى ( الإتقان ) باب المحكم والمتشابه |
| ١٠٧ | الإمام العظيم ابن الجوزى يرد على المجسمة جميعاً |
| ١٠٩ | نقدنا للشيخ الإمام ابن تيمية |
| ١١١ | من تمام الرد على ابن تيمية : أن نتتبع ألفاظ التوراة وألفاظ الإنجيل اللذين كانا هدى للناس من قبل نزول القرآن فى المحكم والمتشابه فى ذات الله وصفاته لأن ابن تيمية كان يفهمهما حق الفهم ، كما هو ظاهر من كتابه ( الجواب الصريح ) |
| ١١١ | آيات الجسمية فى التوراة والإنجيل وكيفية تأويلها نقلا عن «إظهار الحق» للشيخ محمد رحمة الله بن خليل العثمانى الكيرانوى الهندى ١٢٢٣-١٣٠٨ﻫ |
| ١١٢ | آيات المكان فى التوراة والإنجيل وكيفية تأويلها |
| ١١٣ | نقدنا لعلماء الكلام فى السلف والخلف |
| ١١٤ | **الفصل السابع : « مشاكل الصفات »** |
| ١١٥ | المعتزلة يردون أن صفات الله هى عين الذات |
| ١١٥ | الأشاعرة يقولون بقدم صفات الله ، وبأنها زائدة على الذات ملازمة لها |
| ١١٦ | المعتزلة يقولون : إن الإنسان مخير لا مسير |
| ١١٦ | الأشاعرة يقولون بالكسب ، أى أن يد الله مع يد الإنسان وقت مد يد الإنسان يده ليفعل شيئا |
| ١١٧ | الحسن البصرى وجه رسالة لعبد الملك بن مروان يؤيد فيها وجهة نظر المعتزلة فى حرية الإنسان |
| ١١٧ | مشكلة الجبر والاختيار عند اليهود والنصارى |
| ١١٨ | الفريسيون من اليهود العبرانيين يقولون بالجبر |
| ١١٨ | المسيح عيسى يستدل من أسفار موسى الخمسة على أن الإنسان مخير |
| ١٢٠ | سبق الاصطفاء |
| ١٢٠ | المسيح عيسى يواجه مشكلة تنبيه الله لأنبياء بنى إسرائيل عن مجىء نبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم بأنها سبق اصطفاء |

| الصفحة | الموضوع |
|---|---|
| ١٢١ | وعد الله ووعيده |
| ١٢١ | هل القرآن قديم أم حادث مخلوق ؟ |
| ١٢١ | المعتزلة يقولون : التائب من الذنب كمن لا ذنب له |
| ١٢٢ | الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر |
| ١٢٢ | الصلاح والأصلح |
| ١٢٢ | هل العالم قديم أم حادث ؟ |
| ١٢٢ | معنى ( وحدة الوجود ) ومعنى ( وحدة الصدور ) |
| ١٢٥ | خاتمة الكتاب |
| ١٢٨ | ابن حزم يدعى أن اليهود يجسمون الله تجسيما ، ولم يحسن إقامة الدعوى عليهم بآيات من التوراة |
| ١٢٩ | مناقشة ابن حزم فى دعواه |
| ١٣٥ | بعض مصادر الكتاب ومراجعه |


رقم الإيداع ٧٨/٦٠٩

الترقيم الدولى ٧ - ٢٧٠ - ٢٥٦ - ٩٧٧